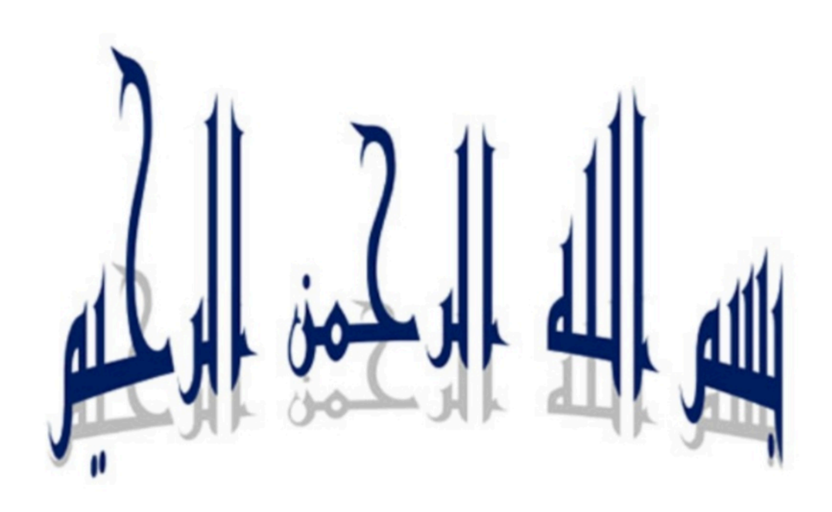


رحلتي
مع
القرآن
تأليف:
عبد الرزاق الحچامي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف:

ينتقدنا العديد من الناس باننا لم نواكب العلم والتكنلوجيا الحديثة، وان المسلمين دائما في الركب الخلفي من مسيرة التطور سواءً في مجالات العلوم الصناعية او الفلكية او الطبية وغيرها، وهذا صحيح ولهم الحق في نقدهم هذا!

هل فكّر أحدنا يوما في سبب ذلك؟ وهل الإسلام يخالف هذه العلوم ويضع العراقيل أمامها؟ كلا وألف كلا! متى كان القران يدعو الى الكسل والخمول وتعطيل العقول؟ في أي آية منع القرآن التطور والاستفادة من العلوم والتكنلوجيا في رقي الانسان وتكامله؟

لها القرآن في آياته، وأقولها صراحة لوكان هذا القرآن لديهم وكانوا يؤمنون ويثقون به كما نثق نحن به لدرسوه كلمة كلمة، بل حرفا حرفا حتى يستخرجوا منه كنوز علومهم، ويختصر لهم طريقهم الذي سلكوه قبل مئات السنين ...

انا لا أقول ان القرآن كتاب علمي او طبي او فلكي فقط، لا، ان القرآن كتاب هداية للبشر بكل ما تحويه هذه الكلمة من معنى، وواحدة من أصناف هذه الهداية هي الهداية لعلوم وقوانين الطبيعة.

كتابنا هذا الذي بين ايديكم يعرض بعضا من الإشارات العلمية الواردة في القرآن الكريم والتي لم

أنا أجيب على هذا التساؤل وأقول: ان السبب الأول والاخير في تخلفنا في مجالات العلوم وبمختلف اصنافها انما هو تعطيل عقولنا، وعدم التفكر لاكتشاف الحقائق والقوانين التي جعلها الله في خلقه، على الرغم من ان الله تعالى اعطى لنا مفاتيح هذه العلوم في مئات من الآيات التي نمر عليها مر الكرام! نعم، نحن نختم القرآن من الجلد الى الجلد فرحين بأننا ختمناه كذا مرة، وفي كل ختمة لا نتدبر في آية واحدة منه وكأن القرآن أُنزل للتلاوة فقط!

دول الغرب وعلمائهم صرفوا مليارات الدولارات حتى وصلوا الى بعض مفاتيح العلوم التي أشار

يكتشفها العلم الحديث الا في القرون الأخيرة. نعرض ذلك بأسلوب قصصي وروايةٍ لطيفة تجذب القارئ العزيز في احداثها، وفي الوقت نفسه تثبت له صدق هذا القرآن، وانه حقا مُنزّل من الله تعالى، وأنه لا يمكن لبشر ان يتحداه او يصل الى درجته وعظمته:

﴿ قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾ الإسراء/ 88

وطلبي ممن يطالع كتابي هذا من الإخوة والأخوات ان يرسلوا لنا آرائهم ونقدهم له، فلعلنا نستنير بها وننهل منها في طبعات الكتاب اللاحقة، وعسى أن يكون عملي وإياكم هذا حسنة جارية

تعيننا وتكون زاداً لنا في سفرنا الأبدي إن شاء الله...

المؤلف:

عبد الرزاق الحچامي

2019\1\30

البريد الإلكتروني:azq967@gmail.com

الفصل الاول:

بينَ
الفقر والضَياع

برد شديد امتزج معه ألم الجوع والحرمان... احسستُ ان الدنيا كلها ظلام في ظلام. نعم، هي كذلك في عيني. لم أكن اعلم ان الفقر هكذا يصنع بصاحبه، ويفعل بنازله، حتى أصبحنا نبحث عن لقمة خبز فلا نجدها، بل أصبح وأمسى طعامنا الماء الذي كنا نمزج معه شيئا من السكر ونتخيل انه حليب او عسل! ومرة أخرى نمزج معه الملح ونتخيل انه ماء لحم او دجاج! نعم، هكذا كنتُ اقول لوالدتي واوصي اختي سما بأن تشغل فكرها بخيالات كهذه...!

يبدو ان شدة البرد والجوع في هذه الليلة قد أيقظ والدتي ايضا، وحينما رأتني مستيقظا قالت لي:

. الناس لا يتصدقون علينا بالمال او الطعام لأنهم يعلمون ان لي ولدا يستطيع العمل، بل يتساءلون لماذا لا يعمل ويأتي بلقمة العيش لعائلته بعد وفاة والده؟ ماذا اقول لهم يا احمد؟ انت اجبهم، انت اجب اختك التي بدأ الجوع يأكل جسدها.

كان من الواجب احترام والدتي وعدم الصراخ في وجهها، ولكني مع ذلك انتفضتُ، وقلتُ لها:

. ماذا افعل يا أماه؟ الا ترَينَ أني في كل يوم ابحث عن عمل ولم اجده، ثم ماذا افعل والكل ينظر لي بمنظار عجيب غريب وكأني انا الذي...

نعم، هكذا أصبح حالنا بعد ان كنا نعيش في رفاه تحت خيمة ابينا، وبسبب تهمة سرقة وقتل

مُفتعلة عليه أعتُقِل والدي وقيدوه الى السجن، ثم أعدموه علَناً أمام أنظارنا وانظار الناس. اما بيتنا واموالنا فقد صادروها عنوة وظلما، حينها أصبح كل من يعرفنا ينبذنا ويتجنب مساعدتنا باي وجه من الوجوه، وها نحن نعيش في خربة وغربة دون فراش ولا غطاء ولا طعام في شتاء شديد البرد.

لم يغلبني اليأس على اية حال، بل كنتُ اخرج صباح كل يوم ابحث عن عمل ثم اعود في وقت الظهيرة متعبا منهكا، وكانت أقسى اللحظات عندي هي لحظات عودتي الى البيت بيد خالية بعد انتظار من والدتي واختي ان اجلب لهما شيئا من الطعام ولا طعام معي.

ذات يوم وقبل ان اخرج كعادتي بحثا عن عمل قلتُ لوالدتي:

. انا لا اعتقد بوجود الله، ولكنك تعتقدين به وتؤدين الصلاة له في كل يوم، الا تدعين ربك هذا اليوم ان يوجد لي فرصة عمل؟

قلتُ لها ذلك كي ارمي الكرة في ملعبها كما يقولون. قلتُ لها مستهزئا بإيمانها، ولكنها نهضتْ من ساعتها وتوجهتْ نحو القبلة ودعت ربها بكلمات رافقها جريان دموع عينيها، ثم قالت لي:

. أحمد، توكل على الله واخرج فقد دعوتُ لك ربي.

خرجتُ كعادتي بحثا عن اي عمل او مصدر رزق، فوجدتُ على جانب الطريق العام مركبة طويلة محمّلة بأكياس الاسمنت. التفتُ يمينا وشمالا بحثا عن سائقها فلم اجده، فقررتُ انتظاره وان تطلّب ذلك ساعات طوال.

لم يطل الانتظار أكثر من ساعة حتى رأيتُ شخصا قد فتح باب المركبة فهرعت اليه مسرعا، ووقفتُ امامه لأقول له:

. انا افرّغ لك كل هذا الحمل، اين تريد تفريغه؟

نظر لي نظرة استهزاء، وقال لي:

. كل هذا الحمل! وهل انت سوبرمان؟

لم ابالي بسخريته مني، واجبته:

. نعم كل هذا الحمل، ارجوك يا سيدي، لا عليك الا ان تترك المركبة في مكانها وتاتي بعدها فتجدها خالية.

. وهل أأتي بعد يومين ام ثلاثة ايام حتى اجدها خالية؟

لم اجبه بشيء، فاستأنف وقال:

. اولا ان الحمل اريد تفريغه في مدينة اخرى، في العاصمة، وثانيا ان هناك من العمال الكثير الذين يتسابقون على تفريغها حين وصولها.

. اذاً اجعلني واحدا منهم، ارجوك يا سيدي، أَذهب معك الى تلك المدينة و..

قاطعني، وقال لي:

. يبدو أنك قد فقدّتَ عقلك، هل تذهب الى مدينة تبعد مئتي كيلومتر من هنا لتحصل على اجرة زهيدة لا تعادل اجرة عودتك منها؟

لم ابالي بكلامه، وكنتُ فقط وفقط اريد التمسك بأي عمل احصل منه على اجرة، ولعله يستمر معي فأجمع اجرة العودة ويفيض منها ما اعطيه الى اختي ووالدتي.

بإصرار والتماس شديدين قبِل سائق المركبة حملي معه الى العاصمة التي قال عنها انها تبعد مئتي كيلومتر من هنا.

توسلتُ به ان يعطيني فرصة اخبار والدتي، فقال لي:

. لا بأس اتصل بها.

قدّم لي هاتفه النقال ولكني تذكرت ان والدتي ليس لديها هاتفا اتصل به فتحيرتُ بماذا اجيبه، كل هواتفنا قد بعتها في الفترة السابقة لتأمين لقمة العيش. لم اجبه بشيْ خوفا من ان يعرف قصتي فيمتنع من اخذي معه، لذا عزمتُ ان لا اترك هذه الفرصة تذهب من يدي وقلتُ في نفسي يومان من

الجوع والقلق أفضل من ملامة والدتي واستهزاءها بي في كل يوم وليلة. اريد ان اثبت لها أنى اصبحت رجلا أستطيع ادارة حياتهما. ولعل الزمن سوف يثبت لها ذلك.

وصلنا المكان المقرر بعد ساعات من السير، اذ توقفت المركبة جنب مبنى متعدد الطوابق وقيد الانشاء، وما أن توقفتْ حتى هرع وقفز عمّال لتفريغها. قفزتُ معهم فوق اكياس الاسمنت في المركبة وإذا بشخص يدفعني ويطرحني ارضا من فوقها وهو يقول بغضب:

. الا تعلم ان الاجرة قد قُسّمتْ بيننا قبل وصول المركبة، ونحن بانتظارها منذ يوم أمس؟

أما السائق فأختفى ولم أجد له شخصا ولا أثرا!

يبدو أن المصيبة قد عظمتْ، والبلاء قد أصبح أكثر قساوة عليّ. نعم، اصبحتُ الآن بعيدا عن اهلي، فلا اجرة لي كي اعود إليهم وأطفئ نار قلق والدتي، ولا عمل لي اكسب به ما يسد ألم الجوع عني. تركتُ المركبة ومن عليها من العاملين وجلستُ في زاوية انظر إليهم واحسدهم، وتمنيتُ ان لو كنتُ واحدا منهم.

قررتُ انتظار سائق المركبة حتى يرجع من غيبته فلعله يعود الى مدينتي الاولى، وخلال ذلك قمتُ اتجول في اسواق العاصمة حتى ينتهي تفريغ

حمل المركبة الذي ظننتُ ان تفريغه سوف يستغرق أكثر من ساعة.

كان اثناء جولتي في الاسواق ان وقع نظري على اعلان قد عُلّق في واجهة أحد المكتبات الكبيرة، دنوتُ منه وقرأته فكان عنوانه الذي كُتب بخط كبير : (مسابقة كبرى . جائزة كبرى)!

جلب نظري من العنوان اسم الجائزة الكبرى، ولكن يأسي الشديد جعلني اتركه، فمتى كنتُ ذا حظ عظيم حتى احصل على جائزة كبرى؟

تركتُ المكان وتحركتُ لأكمل جولتي ولكن راودني تردد ونداء من داخلي ان لا تذهب، فما الضرر من قراءة ما في هذا الإعلان؟ صحيح،

وما الضرر في ذلك؟ عدتُ الى ورقة الاعلان مرة اخرى وقرأت المتن فكان خلاصة ما فيه ان أحد المؤسسات الثقافية تقيم مسابقة في إعجاز القرآن، وان الكتاب الفائز سوف يحصل على جائزة قدرها 3 مليون دينار!

سخرتُ من نفسي، فشخص مثلي لا يؤمن بوجود الله كيف يكتب كتابا عن معاجز كتاب الله؟!

غادرتُ موقع الاعلان ولكن لم يغادر فكري مبلغ الجائزة، فاني أستطيع بهذا المبلغ انقاذ حياتي وحياة والدتي واختي من الجوع والفقر الذي نحن فيه، ولكن لا، غير ممكن هذا.

عدتُ الى المركبة وطال انتظاري هناك ساعات وسائق المركبة لم يرجع الى مركبته بعد.

بدأ سواد الليل ينشر اذياله، والبرد تزداد شدته، حينها طلبتُ من حارس المبنى أن يؤويني معه حتى صباح يوم الغد، فقبِل ذلك مني، وبقيتُ معه حتى الصباح حيث عاد سائق المركبة وعدتُ معه الى مدينتي بعد ان سخر مني ووبّخني من رأسي الى قدمي لعدم سماع كلامه.

دخلتُ بيتنا، وحينما رأتني والدتي سالت الدموع من عينيها وانتفضت في وجهي، وبدأت تصرخ فلم اجبها بشيء...

لم اتمكن من الاجابة والتوضيح لما حدث لي حتى هدأتْ، حينها حكيتُ لها قصة ذهابي الى العاصمة من اجل الحصول على اجرة تفريغ مركبة تحمل اطنانا من الاسمنت، وكان ضمن حديثي هو التجول في سوق العاصمة ومطالعتي للإعلان ومبلغ الجائزة التي خُصِّصت لمن يفوز بتأليف الكتاب المطلوب.

أمر عجيب! لأول مرة احسستُ من والدتي التوجه لي والاهتمام بحديثي، اذ قاطعتني وقالت لي:

. ماذا قلتَ يا أحمد؟ كتاب يبحث عن معاجز القرآن؟

. نعم.

كنتُ اتوقع منها السخرية، ولكني رأيتُ خلاف ذلك! نعم، رأيتُ ملامح وجهها قد تغيرتْ، ولأول مرة بعد ثلاثة أشهر من وفاة والدي تبسمت في وجهي، وقالت:

. انا أوافقك على هذا المشروع، بل سوف اعينك عليه!!

. اماه، ماذا تقولين؟ كيف يمكن لشخص مثلي ان يؤلف كتابا كهذا ويربح جائزته!؟

. اطرقتْ قليلا، ثم قالتْ:

. سوف ادعو لك ربي ان يوفقك لكتابته، وللحصول على الجائزة المقررة له.

. ولكنك تعلمين يا اماه أني لا اعتقد بوجود الله الذي تطلبين منه مساعدتي، فكيف اكتب كتابا عن معاجز كتابه؟!

. انا اعلم ذلك يا عزيزي، اجعل غايتك الان الحصول على المبلغ، وأسعى بكل ما لديك من اجله، وانا لدي غاية اخرى سوف تكشفها لك الايام فيما بعد.

لم افهم ماذا تعني من كلامها، ولكني احسستُ في داخلي برغبة كبيرة للاشتراك في تلك المسابقة بعدما لمستُ من والدتي ذلك التشويق منها.

قلتُ لها:

. ولكن ذلك يتطلب شراء كتب وذهاب الى العاصمة، فمن اين لنا مال ونحن لا نملك قوت يومنا من الطعام؟

تحيرتْ في اجابتي ولم تجبني، بل ذهبتْ الى زاوية من الغرفة وجلستْ فيها لتناجي ربها وقد امسكتْ بمسبحتها وهي تحركها يمينا وشمالا!

التفتُ الى اختي سما التي لم يتجاوز عمرها ستة عشر عاما، وقلتُ لها:

. اظن ان أمي تستخير ربها عما سألتُها ولم تجبني عليه.

. اظن ذلك.

لم يطل تسبيحها وسجودها كثيرا حتى قامت مبتسمة، وقالتْ:

. لا عليك يا احمد، سوف نذهب غدا معا الى العاصمة، فليس لدينا هنا شيئا نملكه حتى نتمسك به.

. ولكن يا اماه..

. يكفي ان الله موجود، انه يسمع انيننا ويرى حالنا هناك كما يسمع ويرى حالنا هنا، فما الفرق بين الاثنين؟ ثم إني اخفيتُ خاتم والدك طوال هذه المدة وإدّخرته ليوم كهذا، نبيعه ونسافر الى هناك.

في اليوم التالي جمعنا ما لدينا من ملابس ولم يكن في البيت شيء غيرها، وانطلقنا الى العاصمة بعد ان باعت والدتي الخاتم ليغطي نفقات سفرنا.

وضعتُ اول قدم لي في العاصمة مع اختي ووالدتي ليلا، ولأنه لم يكن لدينا أي مأوى او مسكن نلجأ اليه لذا بقينا نصول ونجول في شوارعها رغم البرد القارص والجوع الشديد الذي أضعف ابداننا، ولكن برغم قساوة الموقف الذي كنا فيه الا اني كنتُ اشعر حينها بالراحة اكثر مما سبق لان الكرة الآن في ملعب والدتي، نعم، هي التي دعتنا الى هذا السفر المجهول، فلا صراخ بوجهي ولا ملامة منها علي. اما اختي فلم تكن لها الجرأة الكافية

للاعتراض على والدتي ولا اظهار تضجرها مما نحن فيه. آلام وصمت وهدوء لا تُعرف عاقبته...

طلبتْ مني والدتي الذهاب الى موقع الإعلان الذي اخبرتُها عنه سابقا، فقلتُ لها:

. في هذا الوقت؟

. نعم وما المانع من ذلك؟

لم يكن من السهولة إيجاد العنوان الذي أردناه في مدينة كبيرة كالعاصمة، وفي ظلام كظلام هذه الليلة، لذا استمر بحثنا عن العنوان حتى الصباح ولم نكفّ عن البحث الا بعد ان وقعت سما ارضا اذ ان اقدامها لم تعد قادرة على حملها.

لا أنسى ابدا تلك اللحظة التي سمعتُ فيها صوت اذان الفجر.. نعم، تلك اللحظة التي قال المؤذن فيها (اشهد ان لا إله الا الله) والتي جلستْ فيها والدتي على الارض ببدن منهك وقلب يحترق ألما. جلستْ ورفعت يديها الى السماء وقد شاهدتُ بوضوح دموعها الجارية على وجهها المصفر، وسمعتها تقول:

. إلهي بحق من شهد لك بالربوبية من اول الدهر الى آخره نجّنا مما نحن فيه.

قامت والدتي بهمة جديدة، وقالتْ لي:

. أحمد، اذهب بنا على أثر صوت ذلك الأذان قبل ان ينتهي. اسرعتُ السير في شوارع المدينة

وازقتها على أثر صوت الآذان حتى وصلنا اليه فكان يصدر من مسجد صغير متواضع في شكله وبناءه، والمفاجئة لم تكن في ذلك، بل في الإعلان الذي لُصق على بابه..

نعم، هو عين ذلك الإعلان الذي كنا نبحث عنه طوال الليلة الماضية. قلتُ لوالدتي بلهفة بالغة:

. اماه، هذا الإعلان انظري اليه.

والتفتُ الى سما أيضا، وقلتُ لها:

. هذا هو الإعلان، انا صادق فيما قلته، انظري.

نعم، طرتُ فرحا في حينها، ومرة انظر الى والدتي وأخرى الى سما، لقد ثبت صدق كلامي معهما، وزالت كل الشكوك التي احسستُ انها كانت تراود والدتي بين الحين والأخر، ولكنها لم تظهرها لي، نعم احسستُ بتلك الشكوك من خلال نظراتها لي طوال الليلة الماضية.

تبسمتْ والدتي ولم تقل شيئا ودخلت المسجد مع سما لأداء صلاة الفجر.

لم ادخل مسجدا قبل هذا الوقت، بل كنتُ ولازلتُ اتنفر منه، لماذا؟ لا اعلم!

كان لابد لي من دخول المسجد رغم أني لم أؤدي الصلاة فيه من قبل، كما كان لابد لي من الصلاة والا فماذا يقول متولي المسجد عني.

دخلتُ ولكن لا أحد فيه، اين المصلين؟ اين والدتي؟ بقيتُ التفتُ يمينا وشمالا حتى اقبَل نحوي رجل يبدو في الثلاثين من عمره فسلّم أولا، ثم قال:

. هل تبحث عن شخص ما؟

. نعم، اختي ووالدتي دخلا المسجد قبلي ولا اعلم اين ذهبا.

. لابد ان يكونا في غرفة مصلى النساء.

وأشار بيده الى غرفة في زاوية من المسجد، ثم قال:

. يبدو انكم من مدينة أخرى فهل لديكم حاجة او امر أستطيع مساعدتكم به؟

ترددتُ في جوابه فهل أخبره بأمرنا ام لا، فكرتُ في والدتي المتعبة واختي التي لم تعد قدماها يحملانها، اين سوف نذهب بعد الخروج من المسجد، بل اين يكون مبيتنا في الليلة القادمة وما بعدها، ما الضرر من اخباره؟ نعم، انه لا يعرف تهمة والدي ولا قضية إعدامه وتصدير أمواله، اذن سوف أخبره.

قلتُ له:

. الحقيقة يا عم اننا ليس لدينا مأوى في هذه المدينة بسبب الفقر الذي اصابنا والذي اضطرنا للقدوم الى هنا بحثا عن عمل ومصدر رزق.

. وهل هناك شخص تكفل لكم بذلك العمل الذي اتيتم من اجله، وأين مكانه في هذه المدينة؟

ترددتُ في قول حقيقة الامر، الا انه لا سبيل لغيره، فقلت له رغم توقعي انه سوف يسخر منا:

. ان والدتي أصرّت كثيرا على مشاركتي في مسابقة تأليف افضل كتاب يبحث عن اعجاز القرآن و..

. هل تقصد هذا الإعلان الذي لصقته على باب المسجد؟

. نعم، هو كذلك.

اطرق قليلا ثم رفع رأسه ليسألني مرة اخرة، فقال:

. اذن انت ووالدتك واختك اتيتم للمشاركة في المسابقة وليس لديكم مكان تسكنون فيه.

. نعم.

. سبحان الله! انه فعل الله، انا منذ وقت طويل ابحث عن شخص يستقر في هذا المسجد لحراسته وتنظيفه وفتح ابوابه في أوقات الصلاة.

لم افهم ماذا يقصد من كلامه، ولماذا هذا التعجب! على كل حال بعد صمت قليل قال لي:

. اريد التحدث مع والدتك، هل يمكن لي ذلك؟

توجهتْ والدتي نحوه بعد ان طلبتْ مني مرافقتها، وحينما وقفنا امامه بادَرَنا بالسلام، ثم قال:

. انا منذ وقت طويل ابحث عن شخص يستقر في هذا المسجد لحراسته وتنظيفه وفتح ابوابه في أوقات الصلاة، فهل يناسبكم ذلك؟

اجابتْ والدتي:

. ولكننا عائلة من ثلاث نفرات.

. لا بأس بذلك، فان في المسجد غرفة تصلح لسكن عائلة صغيرة.

نظرتُ الى والدتي ولاحظتُ بوضوح بريق دمعها الجاري الذي لم تعد تتمكن من اخفائه، ولا

نهاية الفصل الأول

الفصل الثاني:

فِداءٌ

ليس له حدود

بعد ان استقر بنا الامر للسكن في غرفة صغيرة جوار المسجد وملتصقة به من الخارج اخبرتُ والدتي انني لا أستطيع تأليف كتاب المسابقة والفوز بها!

وبعد يومين من استقرارنا لاحظتُ عدم ارتياح من والدتي فأتيتُ اليها، وجلستُ جنبها ولكنها ادارت وجهها عني، وقالتْ:

. هل ترضى ان يتصدق علينا الناس بالطعام وبالملابس الرثة؟

. وماذا افعل، لا يوجد أي عمل هنا، هل اسرق وأتي لكما بالطعام، هل تقبلين بذلك يا اماه؟

اجابت بانفعال شديد:

. لا، لا اقبل منك ذلك، نحن اتينا الى هنا لتحقيق هدف كبير، هل نسيتَ ذلك؟

. اماه، لا أستطيع تحقيق هذا الهدف الذي تقصديه، هل من المنطق ان اكتب كتابا ويفوز بجائزة مع ان موضوع الكتاب لا أؤمن به!

لا أعلم ما الذي تريده الوالدة مني؟ هل غايتها كسب المال والجائزة؟ أم غايتها شيء آخر؟ انها لا تريد ان تصارحني، لذا قلتُ لها:

. سوف اذهب غدا الى ساحة وقوف العمال ولا يهمني كوني طالب جامعة، وسوف لا اعود للبيت اذا لم اجد عملا و..

قاطعتني، وقالتْ:

. لا، لا يا عزيزي، إنك غريب هنا، وسوف لن تحصل على أي عمل، والأفضل لك البقاء على فكرة الكتاب وجائزته، والمبلغ الذي سوف تحصل عليه سوف يغير من احوالنا كثيرا.

لم تدعني انطق بكلمة أخرى، وبادرتني بالكلام، وقالتْ:

. ابدأ يا عزيزي من الغد، واستثمر مكتبة المسجد فان فيها من الكتب ما قد تنفعك في بحثك، كما إني سوف اطلب من زوجة متولي المسجد ان ترشدنا الى شخص يعينك على الكتابة والتأليف.

لم يكن لي خيار غير القبول فقبلتُ، واخبرتُ والدتي بذلك، حينها تبسمتْ ولاحظتُ على وجهها

ملامح الارتياح رغم معانات الفقر والحاجة التي اضعفتْ بدنها بصورة واضحة لكل من كان يعرفها ايام النعمة مع والدي.

رفعتُ اول كتاب من مكتبة المسجد والذي يبدو ان له علاقة بالموضوع الذي ابحث عنه.

في الوهلة الأولى لم تكن لدي رغبة في مطالعته، بل ولا مطالعة أي كتاب آخر. نظرت الى غلاف الكتاب مرة أخرى فجلبتني عبارة (آخر ما توصل اليه العلم من حقائق يقينية مذهلة)، لذا فتحته وطالعتُ الصفحات الأولى منه.

اذهلتني الحقائق العلمية التي فيه بشأن الكون والمجرات والنجوم، اذ انه بعد ان ذكر ان سرعة

الضوء تقارب الـ 300 الف كيلومتر في الثانية، قال ان الضوء الذي يأتينا من الشمس يستغرق 8 دقائق حتى يصل الينا وخلالها يقطع مسافة قدرها 150 مليون كيلومتر وهي المسافة التي تفصلنا عن الشمس.

اما أقرب النجوم الينا فإنها تبعد عنا مسافة يحتاج الضوء كي يقطعها الى مدة تزيد على الأربع سنوات، واما مجرتنا التي تسمى درب التبانة فإنها تحتوي على أكثر من 200 ألف مليون نجم، ويبلغ طول هذه المجرة أكثر من 100 ألف سنة ضوئية، أي ان الضوء وبسرعته الهائلة يحتاج الى 100 ألف سنة حتى يقطع هذه المجرة!

وليست مجرتنا هي الوحيدة في هذا الكون، بل هناك الملايين من المجرات الأخرى تسبح أيضا فيه، حيث يقدّر العلماء عدد المجرات بأكثر من 100 ألف مليون مجرة!

قلتُ في نفسي: وما علاقة ذلك بالقرآن؟ هذه الحقائق اكتشفها العلم الحديث بأجهزته المتطورة ولم يكتشفها القرآن!

طرحتُ الكتاب جانبا وجلستُ في زاوية من المسجد في حيرة من امري، وبدأتُ أفكر كيف أخبر والدتي مرة أخرى باني لا أتمكن من الاستمرار في بحث كهذا.

احسستُ بدخول شخص الى المسجد فالتفتُ اليه فورا وإذا به رجل يبدو من هيئته انه ذو شخصية ووقار حاملا معه ابتسامة هادئة، ومتوجها نحوي فاستغربتُ منه، ماذا يريد مني؟ هل علم أني لا اؤدي الصلاة فجاء ليخرجني من هذا المكان الطاهر كما يقولون؟ ولكن ما معنى ابتسامته التي طغتْ على ملامح وجهه؟!

. يبدو أنك احمد، اليس كذلك؟

. نعم، ولكني سوف اخرج الآن من المسجد.

اردتُ القيام من مقامي ولكنه وضع يده على كتفي واجلسني ثم قال:

. انني لم أأتي لأخرجك من المسجد بل..

قاطعته، وقلتُ له:

. اذن، ما الذي علي فعله، وما الذي تريده مني؟

تبسم من جديد، وقال:

. هل تسمح لي بالجلوس والحديث معك؟

. أنا أسمح لك! نعم، نعم، تفضل.

جلس بجنبي وعرّف نفسه في اول كلامه، فقال:

. اسمي مناف، ومعروف في هذه المحلة بأستاذ مناف لأني استاذ في كلية الشريعة، وأخي هو متولي هذا المسجد الذي انت الان فيه.

. ومن اين تعرف اسمي؟

لقد أتتْ لنا والدتك وأوضحت لنا امركم وسبب مجيئكم الى هنا، وطلبتْ مني مساعدتك، كما اخبرتني بانك كنت طالب جامعة وتركتها بسبب الحاجة والفقر الذي اصابكم.

. اعجبني تواضعه رغم انه أستاذ في الجامعة، وجذبتني اليه كثيرا ابتسامته التي ما فارقته طوال حديثه معي، لذا قررتُ مفاتحته بالموضوع الذي شغلني فلعله يقنع والدتي، فقلتُ له:

. إني ليس لدي رغبة للمشاركة في مسابقة تأليف كتاب عن معاجز القرآن لأنني لم ولن أتمكن من ذلك، ولن احصل على جائزته، ولكن والدتي

. ولِمَ لا.

لم يطل انتظارنا كثيرا حتى خرجتْ والدتي وسما من غرفة مصلى النساء وقد لاحظتُ بريق دموعها واضحا على وجهها. تحركتُ نحوهما واقتربتُ منهما وقلتُ لها:

. ان متولي المسجد يريد التحدث معكِ.

. وأين هو؟

اشرتُ بيدي اليه فالتفتتْ نحوه ونظرتْ اليه، ثم سألتني:

. وماذا يريد مني؟

. لا اعلم.

اعلم هو من الفرح ام من الحزن على دهرها الذي اوصلها الى ما هي عليه!

اجابته، وقالتْ له:

. نعم، سوف نسكن فيها ونؤدي الذي علينا انشاء الله.

لا تَقنع، لذا أطلب منك الحديث معها واقناعها بهذه الحقيقة.

اطرق قليلا ثم، قال:

. أجبني بصراحة يا احمد، طلبتُ منك الصراحة فهل انت اهل لها؟

. نعم، إنك جذبتني اليك بكلامك، واطمأننتُ بالحديث معك، وأَمنتُ الخوف والعصبية منك، فلماذا لا أقول لك الحق؟

. هل تؤمن بالله؟

. نعم، ولكن... ولكن الشكوك به لا تفارقني.

. وهل تؤمن بالقرآن انه من الله؟

. لا، ولهذا أقول أني لا أتمكن من كتابة أي مطلب او مقالة لا أؤمن بها، ولكن والدتي لا تقبل مني ذلك.

بدلا من ان اشاهد الضجر والتنفّر على ملامح وجهه، وبدلا من طردي من المسجد كما كنتُ أتوقع، وبدلا من اتهامي بالكفر والنجاسة لإنكاري حقيقة وأصل من أصول الدين، رأيته يتبسم من جديد، نعم، تبسم وخاطبني بكلمات حب وعطف انسان الى انسان مثله، لقد سحرني بها واعطاني الجرأة أكثر على مصارحته بما يدور في ذهني، اذ قلتُ له:

. إني لا أؤمن بالقرآن لأني أرى آلاف الكتب، بل الملايين قد كُتبت بأفضل صيغة ومحتوى وبلاغة منه، فمنهم من كتب في الادب والشعر والقصص بما يستمتع به القارئ حين مطالعته، وأخرين من كَتبوا في العلوم بمختلف اصنافها، والبعض من دوّن التاريخ القديم والحديث بأسلوب رائع ولطيف.

اذن لماذا يجب عليّ الايمان قهرا وجبرا بان القرآن فقط وفقط هو المنزّل من الله دون دليل وبرهان؟ لماذا لا يجرأ أحد على الإفصاح بما في داخله من شكوك تجاه القرآن، ألستم تقولون ان الايمان لا ينفع الا إذا كان من القلب، وهل القلب

يزداد ايمانا بأمر ما بالقهر والاجبار والاتهام بالكفر والنجاسة؟ كلا وألف كلا يا أستاذ، القلب يزداد نفرة فوق نفرته الأولى بهذه الأساليب وردود الأفعال التي يواجهها الانسان الباحث عن الحقيقة، اليس كذلك؟

لم اعط الأستاذ فرصة للإجابة على تساؤلاتي، إذ استأنفتُ كلامي وسألته السؤال الأخير:

. انتَ اتيتَ من طرف والدتي. اليس كذلك؟ ألم تسألها كيف تدفع بي قهرا لتأليف كتاب عن معاجز القرآن وانا لا أؤمن بالقرآن من أساسه؟

قلتُ كلامي هذا وقد احمر وجهي من شدة الانفعال، وهممتُ بالقيام ومغادرة المسجد، الا ان

الأستاذ مناف وضع يده على كتفي ومنعني من النهوض، وقال لي:

. اذن اسمح لي ان أقول لك حقيقة انتَ غافل عنها، ان والدتك لا يهمها الجائزة التي انتَ وضعتها امام عينيك وجعلتها حلما لا يتحقق بالنسبة لك، بل غايتها الوحيدة ان تتعرف انت على القرآن ومعاجزه، ومن خلال ذلك تتعرف ايضا على الله وتهتدي الى جادة الصواب وسعادة الأبد.

. أستاذ، انت متأكد مما تقول؟

. نعم، انها تركتْ وطنها واتت لبلاد الغربة من اجلك، وكانتْ حاضرة ان تتحمل الفقر بأقسى مراتبه، فباعت أغلى ما لديها من ذكريات والدك

كي تتعرف انت على حقيقة وغاية وجودك، ومن اجل ان تؤمّن لك حياة الأبد وسعادتها. نعم، هذه هي والدتك التي تصرخ في وجهها بين الحين والآخر، وتتضجّر منها كلما تنصحك، وترد عليها بقسوة وهي لا تجيبك الا بالعطف والحنان.

. ولكن من اين لك هذا، إنك لم تكن تعرف والدتي من قبل!

. لقد أخبرتني زوجتي بذلك، كما ان والدتك تحدثتْ معي أيضا وطلبتْ مني والتمستني بدموعها الجارية ان اعينك على هذا الامر.

طلبتُ من الأستاذ مناف ان يتركني وحيدا في المسجد كي أتمكن من التفكير أكثر في الموضوع، فقام من مقامه، وقال:

. يمكن ان يكون لنا لقاء يومي في هذا المكان بعد الساعة الرابعة عصرا ان أحببتَ ذلك.

وما ان خرج الأستاذ حتى احسستُ بالندم على غفلتي، وحقارة تفكيري، واستحضرتُ سوء معاملتي لوالدتي وخشونة كلامي معها وانا لم أر منها في كل مرة الا العطف والإحسان. الويل لي.

نهضتُ واسرعتُ خارجا من المسجد مناديا بصوت عالي:

. أستاذ، أستاذ مناف.

سمعتُ صوت الاستاذ يجيب:

. نعم، انا هنا، هل لديك امر جديد؟

. أستاذ، ارجوك عد الى المسجد فانا بحاجة اليك.

عاد معي الى داخل صالة المسجد وحينها احسستُ بالراحة والاطمئنان بجواره، وطلبتُ منه ان يبدأ معي من هذه اللحظة ودون تأخير، فتبسم مستبشرا، وقال:

. انت تساءلت لماذا يجب عليك الايمان قهرا وجبرا بان القرآن فقط وفقط هو المنزّل من الله دون آلاف الكتب الأخرى، ودون دليل وبرهان؟ فهل سوف تؤمن به لو اقمتُ لك الدليل والبرهان؟

. نعم، بالتأكيد.

. ولو اثبتُ لك بان القرآن يحوي على مطالب ومعاجز لا يمكن لأي شخص من الاولين والآخرين ان يكتب مثلها مهما بلغت عظمته وعلمه وفصاحته، فهل سيكون ذلك دليلا وبرهانا لك على انه منزل من الله؟

. نعم، واعدك انني سوف أؤمن به واعمل بما فيه، بل سوف أنذر عمري للدعوة اليه.

احسستُ من الأستاذ مناف الارتياح من كلامي، فقال:

. سوف اعرض لك بالتدريج بعضا من اعجاز القرآن والتي لا يمكن ان تُنسب او تكون صادرة

من انسان وان كان أكبر عالم من علماء هذه الدنيا، وسوف نبدأ من يوم غد ان شاء الله الساعة الرابعة عصرا في نفس هذا المكان الذي نحن الآن فيه.

غادرني الأستاذ فذهبتُ الى والدتي وفي الطريق اليها احسستُ بالشوق العظيم لها مع إني لم افارقها الا ساعات قليلة! طرقتُ الباب ودخلتُ الغرفة فرأيتها قد اعتنقت اختي الصغيرة وهي تمسح الدموع عنها، نعم، هي دموع الجوع والألم، ان اختي لازالت صغيرة لا تعرف الصبر والتحمل من اجل الهدف الاكبر والأسمى، انها تشعر الآن بالجوع ولا يشغلها الا تأمين ما يسد جوعها ويشبعها.

استغربتْ والدتي من وقفتي الطويلة بباب الغرفة وانا انظر لها، واستغربتْ أكثر حينما وقعتُ عليها وعانقتُها معتذرا منها وقد سالت قطرات دمعي وبدت واضحة في ملامح وجهي. قبّلتها، وقلتُ لها:

_ الآن علمتُ يا أماه ما الذي أتى بك الى بلد الغربة.

قلتها ولم أتمكن من الاستمرار والنطق بأكثر منها، ولم يكن في تلك اللحظات إحساس ينتابني تجاه والدتي أصدق من الدموع والبكاء في أحضانها، وما عساه ان يكون مقابل هذا الفداء الذي ليس له حدود..

في اليوم التالي وبعد شوق وانتظار حضر الأستاذ مناف الى المسجد وفي الساعة التي اتفقنا مسبقا عليها، وحين استقراره وتبادل التحية بيننا سألته:

. أستاذ، ما الذي تقصده من الاعجاز العلمي في القرآن؟

. هناك العديد من الحقائق العلمية ذكرها القرآن قبل ما يزيد على 1400 عام بدقة عالية، ولم تُكتشف الا في عصرنا الحديث، وحقائق أخرى لا زالت مبهمة قد تتعرف على اسرارها الاجيال القادمة، وعلى كل حال لو جاءك شخص لا يعرف القراءة والكتابة واعطاك رسالة تحوي مقالة علمية

عن خصائص الالكترونات والبروتونات والنيترونات في الذرة، وكيفية حركتها والعلاقة فيما بينها، وان البروتون جسيم ذات شحنة كهربائية موجبة مقدارها 1.6 × 1910 كولوم وذات كتلة تزيد على كتلة الالكترون بـ 1800 ضعف، وغيرها من المعلومات الدقيقة عن النواة والانشطارات النووية فيها وغيرها..

فلو قلتُ لك ان كاتب هذه المقالة هو نفس هذا الشخص الذي اتى بها وحمل ورقتها، حينها هل تصدقني وانتَ تعلم ان المستوى العلمي لحامل ورقة المقالة ضعيف جدا لا يؤهله حتى لكتابة اسمه؟

. بالطبع سوف لا اصدّقك، وأقول لك ان كاتب هذه المقالة هو شخص آخر غير حاملها.

. اذن سوف اذكر لك حقائق علمية عرضها القرآن الكريم قبل اكثر من 1400 عام في وقت لم يكن لأي شخص على وجه الأرض مجهر ولا تلسكوب ولا سفينة فضاء! حينها هل تصدق من يقول ان القرآن كتبه من حَمَله الى الناس وقرأه عليهم، وانه من صنع البشر؟

. لابد ان أرى ما هي تلك الحقائق التي تتحدث عنها قبل اصدار الحكم.

. اذن ابدأ معك في الاعجاز العلمي للقرآن، وبالتحديد مع بداية نشوء الكون وخلقه، فأسألك ماذا

تعرف عن نظرية نشوء الكون لدى علماء العصر الحديث؟

. هل تقصد النظرية القديمة ام الحديثة؟

. يعني أنك تعلم ان لديهم نظرية قديمة وحديثة؟

. نعم.

. اذن قل لي ما هو الاعتقاد السائد قديما بالنسبة للكون ونشوئه؟

. حسب ما طالعته سابقا ان العلماء والناس كانوا ومنذ القرن الرابع قبل الميلاد وحتى القرن السادس عشر بعد الميلاد أي لمدة الفي عام يعتقدون بأزلية الكون، أي ان الكون ليس له بداية وليس له نهاية، وكانوا يعتقدون بان الأرض هي

مركز هذا الكون، وتدور حولها الشمس والكواكب والنجوم. هل كلامي صحيح يا أستاذ؟

تبسم الأستاذ مناف، ويبدو انه استأنس بالمعلومات التي لدي، فقال:

. نعم، صحيح ما قلتَه يا احمد، اما الآن فقد حلّت محلها نظرية الانفجار الكبير في نشوء الكون والتي تقول ان الكون كله قبل ما يقارب الثلاثة عشر مليار سنة كان كتلة صغيرة جدا تقترب من الصفر، وبسبب قوة طُبّقت عليها انفجرت تلك الكتلة، ومن ذلك الانفجار الكبير تكونت المجرات والنجوم وغيرها من مكونات هذا الكون.

. وهل ذكروا من اين أتت هذه القوة التي سببت ذلك الانفجار؟

. كلا، لم يذكروا اسما لها، بل قالوا انها قوة مجهولة المصدر!

. أستاذ، من المعروف ان كل انفجار يؤدي الى الفوضى، فكيف يمكن ان تتكون منه كل هذه المجرات والنجوم والكواكب بما فيها من الدقة والتنسيق العالي والترابط فيما بينها؟

. ليس لدى العلماء إجابة مقنعة لسؤالك هذا، ولكنك لو طالعت القرآن تجد اجابتك فيه بكل دقة وبيان.

. عجيب! وهل ذكر القرآن او تعرض الى نظرية الانفجار الكبير؟

. نعم.

. اذكرها لي بالله عليك.

. سوف اذكرها لك لاحقا في نهاية حديثنا بعد ان نستكمل ونعرف آخر ما توصل اليه علماء عصرنا.

بعد ان ظهرت نظرية الانفجار الكبير في نشوء الكون أصبح العلماء يعتقدون بأن للكون نقطة بداية نشأ منها، ولا أحد بعد الآن يقول بأزليته.

. وكيف تمكنوا من معرفة ان للكون بداية نشأ منها؟

. قبل ما يقارب المئة عام بدأ علماء الفلك يلاحظون ان الكون ليس بثابت، وان بقية المجرات تهرب وتبتعد عن مجرتنا، حيث لاحظوا ان الطيف الضوئي القادم من تلك المجرات يقترب من اللون الأحمر، وهو الدليل على ابتعادها عنا أكثر فأكثر، ومن ذلك استدلوا على ان الكون في حالة توسع مستمر، ولو كان ازليا لما رأت تلسكوبات وكالة ناسا الآن أي مجرة أخرى تسبح في الفضاء.

كما ان العلماء اثبتوا ضمن اكتشافاتهم ونتائج تحليلاتهم ان الكون يسير نحو النهاية وانه سوف ينطوي على نفسه وهو ما اسموه بالانسحاق الكبير.

لم أكن أصدق ان ما اكتشفه العلماء حديثا موجودا في القرآن، وظننتُ ان أستاذ مناف انما يريد تسويف الموضوع في عدم ذكره للآية التي قال انها اشارت الى ذلك، لذا عدتُ وطلبتُ منه ذكرها، فقلتُ له:

. أستاذ، لم تذكر لي الآية. اين القرآن من كل هذا، وما علاقته بهذه النظرية؟

ساد الصمت ولم يتكلم الأستاذ شيئا، ويبدو انه أراد ان يشوقني أكثر لمعرفة نظرية القرآن في نشوء الكون، بعدها تبسم وقال:

. لا تستعجل الأمور يا احمد، اما القرآن فقد أطلق نظريته الكبرى في نشوء الكون وتوسّعه، وأبطل نظرية الكون الازلي في وقت لم يكن فيه وكالة ناسا الفضائية، ولا مراصد عملاقة، ولا سفينة فضاء، اذ قال خالق هذا الكون في كتابه (أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاء كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[1]

---

[1] * سورة الأنبياء/ 30

لم يكن لدي ارتباط من قبل بالقرآن لذا لم افهم معنى الآية التي ذكرها، فقلتُ له:

. وأين نظرية الانفجار الكبير لنشوء الكون، وأين نفي ازليته في الآية التي قرأتها؟

. لو راجعت معاجم اللغة لوجدت ان كلمة (الرتق) تعني الالتئام والكتلة الواحدة، اما كلمة (الفتق) فتعني الانشقاق والانفصال، اذن لو تمعنت في عبارة (كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا) وتدبرت فيها، لوجدتها تخبرك بحقائق علمية عظيمة، ما توصل اليها العلماء الا في العصور الحديثة، وبعد ان صرفوا ملايين الدولارات من اجلها.

كنتُ اصغي لكلامه بدقة وانتظر منه المزيد، ولكنه توقف في حديثه ويبدو انه أراد ان يعلّمني كيف اقرأ الآيات واتدبر فيها، فنظر لي ثم قال:

. اراك تصغي فقط ولا تتكلم؟

لم اجبه، وبقي منتظرا مني أي شيء أقوله وما عندي شيء، فقال:

. اريدك يا احمد ان تتعلم كيف تقرأ الآيات وتستخرج منها المعجزات.

. ارجوك يا أستاذ، انت تعلم أني ليس لي ارتباط سابق مع القرآن، وما كنتُ من قبل اقرأ آياته فضلا عن تدبّرها، فكيف تريد مني بهذه العجالة ان استخرج حقائق ومعجزات منها؟!

طلبتُ منه ان يعطيني فرصة التفكر والاستنتاج الى يوم غد.

. اذن نلتقي غدا انشاء الله.

. انشاء الله، واشكرك يا أستاذ.

كان هذا هو اللقاء الأول الذي فتح لي آفاق البحث عن معجزات القرآن، اذ بعد ان غادرني الأستاذ بقيتُ في المسجد ولا أحد غيري، وبدأتُ أفكر في الآية التي ذكرها، نعم، الآية تقول **(كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا)** أي كانتا كتلة واحدة فشققناهما، اذن انها حقا تنفي ازلية الكون وتقول ان له بداية بدأ بها حين حدوث هذا الانشقاق. ولكن...

ولكن الذي كتب هذا القرآن وفي ذلك العصر كيف علم بهذه الحقيقة، بل كيف تجرأ على النطق بها مع ان الاعتقاد السائد لدى علماء ذلك الوقت ان الكون ازلي!

قمتُ من مقامي كي اتمشى داخل المسجد واتعمّق في التفكير، وبدأتُ اتحدث مع نفسي بصوت واناقشها وكأنها شخص آخر معي: علماء عصرنا يطلقون مصطلح الانفجار الكبير على بداية الكون، ولكن الآية تصطلح على بدايته بالفتق! سبحان الله، مصطلح الفتق والانشقاق اراه ادق بكثير من مصطلح الانفجار، لان الانفجار دائما يؤدي الى الفوضى وعدم النظام حتى وان

كان من فعل شخص ما، والنظام الدقيق المحكم في هذا الكون لا يتناسب مع هذا المصطلح.

عدتُ الى والدتي واخبرتها بالحديث الذي جرى بيني وبين الأستاذ مناف، وحين كلامي معها كنتُ اراقب الاثر على ملامح وجهها، فأحسستُ بارتياحها الكبير، وأنها تعلم مسبقا به، وأنها هي التي أرسلتْ الأستاذ مناف لي. كل ذلك علمته من تبسماتها وملامح وجهها دون ان تنطق به.

نهاية الفصل الثاني

الفصل الثالث:

في
أول الطريق

كان الذي يشغل فكري هو كيف أستطيع تأمين لقمة العيش وسد رمق حياتنا، واشعر بالتقصير الكبير امام اختي الصغيرة ووالدتي رغم رضائها عني...

في اليوم التالي تهيأتُ للخروج الساعة السادسة صباحا، وحينما فتحتُ باب الغرفة استيقظتْ والدتي فعدتُ اليها، وقلتُ لها:

. ماذا تحبون ان اجلب لكم هذا اليوم؟!

استغربت الوالدة من كلامي اذ انها تعلم انه ليست برفقتي أية نقود، فقالت لي:

. احمد، هل هو استهزاء ام ماذا؟

. لا يا اماه، انا جدي في كلامي، ماذا تريدين ان اجلب معي؟

قالت وفي نبرتها اليأس وعدم التصديق لكلامي:

. خبز ولبن.

أغلقتُ الباب وخرجتُ وانا لا اعلم كيف نطق لساني بذلك، ولكن العجيب أني عزمتُ بعد هذا الكلام على ان لو انقلبتْ الدنيا على عقب سأجلب لهما الخبز واللبن!

خرجتُ احوم في شوارع المدينة وازقتها وقصدتُ سوقها الكبير الذي لازال يسوده الهدوء ولم يستقبل زوّاره بعد. التفتُ يمينا وشمالا فلم أجد

غير عامل النظافة الذي كان يجمع الاوساخ ويلقيها في السيارة التي كانت واقفة في زاوية من السوق. توجهتُ الى السيارة فوجدتُ شخصا جنبها، اقتربتُ منه وقلتُ له:

. اريد ان اعمل معكم. سوف اجمع لكم كل هذه الاوساخ، سوف اجعل الشوارع تتلألأ لكم من النظافة ولا ابقي ورقة واحدة ولا اي اوساخ فيها.

لم ينطق بكلمة واحدة وكان يبدو عليه النعاس، فقلتُ له:

. كم اجرة ذلك العامل؟ انا اطلب منكم نصف اجرته واعمل معكم الى الليل.

لا اعلم هل ظن بي الجنون، ام غلب عليه النعاس، اذ لم يفهم ما قلته له، بل لعله لم ترق له الاجرة التي طلبتها منه، لذا عدتُ وقلتُ له:

. اذن أعطني فقط ربع اجرة ذلك العامل والباقي خذه لك.

لم يجبني أيضا، حينها نفذ صبري وصرختُ في وجهه:

. الا تسمع ما أقول لك؟ اقول أعطني ربع اجرة ذلك العامل، او لا اريد ربع الأجرة، أعطني فقط خبزا ولبن وأعمل معك الى الليل وأنظف كل ازقة وشوارع هذا السوق.

واخيرا نطق، نعم، نطق بعد ان اخرجه صراخي من غيبوبته، فقال:

. هل انت على وعيك؟ إذا كنتَ كذلك حسنا انا اقبل، اجرتك خبز ولبن بشرط ان تعمل حتى الظلام وتنظف هذا السوق من اوله الى اخره.

طرتُ فرحا وقبّلته في وجهه ورقبته فاستغرب كثيرا من تصرفي هذا، ثم سلّمني ادوات التنظيف وانطلقتُ اجمع الاوساخ من كل زاوية ومكان وألقي بها في السيارة.

اكتظ السوق بالناس، وأصبح العمل أصعب بكثير مما كان عليه اول الصباح، وتجمعت اوساخ

جديدة من محلات السوق ولم اعد ارى سيارة الاوساخ ولا العامل الذي كان معها.

شككتُ في الأمر. نعم لعلني لن أراه مرة أخرى ويذهب كل عملي هذا هباءً في هباء.

بحثتُ عن سيارة جمع الاوساخ وسألتُ عنها حتى قال لي صاحب أحد محلات السوق ان سيارة جمع الاوساخ لا تأتي الا في الصباح!

اصابتني صدمة كبرى حينما سمعتُ ذلك، واحسستُ ان من وعدني بالخبز واللبن قد خدعني ولم تكن في نيته اعطائي ما طلبته منه، لذا تركتُ العمل وتجولتُ في السوق انظر الى محلاته حتى لفت نظري تجمع الناس في زاوية منه.

اقتربتُ من ذلك الزحام فرأيتُ أحدهم يبيع حذاءً قديما وقد اجتمع الناس حوله، والآخر يبيع حقيبة وغيره يبيع هاتفا، اذن هو محل تجمع الناس لبيع السلع المستعملة، نعم هو كذلك.

فكرتُ قليلا ونظرتُ الى حذائي الذي تمزق لقِدَمه، تُرى هل يمكن بيعه! ولكن كيف سأبقى بدون حذاء وماذا سيقول الناس عني؟ ابعدتُ كل هذه الأفكار عني وقررتُ خلعه وعرضه امام الناس بسعر ازهد من الزهيد وسوف لن تنقلب الدنيا على عقب.

خلعته ورفعته للأعلى ليراه الناس وبقيتُ هكذا ساعة ولم يقلبه أحد، بل حتى لم يسأل أي شخص عن قيمته، لذا هممتُ بالانسحاب ولكن..

احسستُ بأن شخصا ما قد وضع يده على كتفي من الخلف.

التفتُ اليه فورا فرأيته يشير الى قدمي الخالية من الحذاء، وقال لي:

. إذا بعتَ هذا الحذاء فكيف ستذهب الى بيتك.

. طرتُ فرحا حينما قال لي ذلك اذ اعتقدتُ انه يريد شراءه، ولكيلا يذهب عني قلتُ له:

. ارجوك خذه بأي قيمة، انتَ قل بأي قيمة تريده وأنا اقبل منك!

نظر مرة أخرى الى قدمي بينما كنتُ أحاول ان اخفيها بين أرجل الناس المزدحمة، ثم قال لي:

. بأي قيمة انا أقولها لك؟

. نعم.

. اذن اشتريته منك بخمسة عشر ألف دينار!

دهشتُ كثيرا من عرضه هذا الذي يفوق قيمة حذاء جديد. دمعتْ عيناي لأني اعتقدتُ انه يسخر مني، ولكنه فاجئني بإخراج المبلغ من جيبه ووضْعه في يدي، ثم قال:

. لم أسخر منك يا عزيزي، بل انكسر قلبي لحالك، ارتدي حذائك وخذ هذا المبلغ واشتري به ما تحتاجه لك ولأهلك.

قال هذا بعد ان دمعتْ عيناه أيضا ثم تركني وذهب..

ارتديتُ حذائي وذهبتُ الى جانب آخر من السوق واشتريتُ الخبز واللبن الذي وعدتُ بجلبه لوالدتي ثم انطلقتُ الى البيت، وحينما دخلته قبّلتُ والدتي واعطيتها الخبز واللبن والمبلغ القليل الفائض منهما، وقلتُ لها:

. لقد ثبت لي كلامك الذي قلتيه لي سابقا بأن الإرادة تصنع المعجزات.

جلسنا جميعا في هذا اليوم على سفرة الغداء، وكلما نظرتُ الى الخبز واللبن احسستُ بسعادة وافتخار لأني انا الذي جلبته لهما هذا اليوم.

قبل الساعة الرابعة ذهبتُ الى المسجد ولفتَ نظري وجود جهاز حاسوب في غرفة إدارة المسجد. قررتُ مفاتحة الأستاذ مناف بشأنه، وفي الساعة المقررة جاء الأستاذ وبدأنا الحديث اذ اخبرته بالمطالب التي تمكنتُ من استخراجها، ثم سألته:

. بصراحة انني اؤمن بالعلوم الحديثة وما يتوصل اليه علماء عصرنا من قوانين ونظريات، ولكني أرى عدم تطابق بين مصطلح الانفجار الكبير في نظرية نشوء الكون الحديثة وبين الكلمات التي استخدمها القرآن في الآية 30 من سورة الأنبياء التي ذكرناها في حديث امس، اذ تقول الآية **(أَوَلَمْ يَرَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقاً فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ**

حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ)[1]، فالآية لم تستخدم مصطلح الانفجار كما استخدمه العلماء، اذن هناك اختلاف بينهما، اليس كذلك؟

تبسم الأستاذ مناف وابدى ارتياحه من سؤالي، فقال:

. ثبت لي من سؤالك هذا مدى قدرتك على التدبر والتفكر في الآيات القرآنية، وهذا الأمر جيد ويشجعني كثيرا للاستمرار معك. سوف افاجئك بمعلومة يبدو أنك لم تطّلع عليها.

. وما هي هذه المعلومة؟

[1] * سورة الأنبياء / 30

. قبل أشهر قرأتُ مقالة مفادها ان العلماء يفكرون في ايجاد مصطلح اخر لبداية نشوء الكون غير مصطلح الانفجار الكبير!

. أستاذ، هل صحيح ما تقول؟

. نعم. والآن أخبرني هل وجدتَ اية تشير الى توسع الكون والابتعاد المستمر بين مجراته؟

لم يكن لدي أي مصدر او كتاب معجم لآيات القرآن ابحث فيه، ولا لدي أي مبلغ لشرائه، لذا لزمتُ الصمت ولم اجبه فاستأنف حديثه وقال:

. قلتُ لك ان العلماء اكتشفوا أيضا وبواسطة التلسكوبات العملاقة والموجات الراديوية ان الكون في حالة توسع مستمر، وهذا الاكتشاف قد أشار

له القرآن الكريم في القرن السابع الميلادي في وقت لم يكن فيه أي وسائل او تكنلوجيا كما لدينا الآن، فهل تحب ان اذكر لك هذه الآية؟

. نعم، بالتأكيد.

. اذن اسمع كلام القرآن حين يقول في الآية 47 من سورة الذاريات **(وَالسَّمَاء بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ)**[1]. واما بشأن نظرية نهاية الكون وما اسموه العلماء بالانسحاق الكبير فقد أشار اليه القرآن أيضا قبل أربعة عشر قرنا في قوله تعالى **(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا**

---

[1] * سورة الذاريات / 47

بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)[1].

. وبماذا يعلل علمائنا نهاية الكون او ما اسموه بنظرية الانسحاق الكبير؟

. كلمة الانسحاق الكبير بالإنجليزية في علم الكونيات المادية (Big Crunch)، وهي عكس عملية الانفجار الكبير، وتفرض هذه النظرية أن التوسع الحاصل للكون بسبب طاقة الانفجار العظيم ستتبدد وتنتهي بعد مدة من الزمان، وستبدأ طاقة الجذب المركزية في لملمة أطراف الكون إلى

[1] * سورة الأنبياء / 104

أن يعود كتلة واحدة صغيرة الحجم عالية الكثافة والكتلة.

ويتوقع العلماء أن سرعة توسع الكون تتباطأ مع الزمن، إذ تشير الحسابات الرياضية إلى أن التمدد بعد الانفجار الكبير كان بمعدلات أعلى بكثير مما هي عليه الآن، و مع تباطؤ سرعة التوسع ستتفوق قوة الجاذبية على قوة الدفع إلى الخارج فيؤدي ذلك إلى اندفاع المجرات و المادة و الطاقة نحو المركز المفترض للكون، كذلك يتجمع الزمكان في هذه النقطة وتنحسر الأبعاد فيها لتصبح متناهية في الصغر، ويعود الكون إلى حالته الأولى، وذلك عين

ما أشار اليه القرآن الكريم في قوله تعالى **(يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاء كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ)**[1].

توقف الأستاذ مناف عن التوضيح ولما لم يسمع مني أي سؤال او تعليق، قال:

. عزيزي احمد، يمكن تلخيص المطالب التي تطرقنا لها حتى الآن بأربع مطالب: الأول ان الكون ليس ازليا بل له بداية، والثاني ان بدايته كانت من كتلة واحدة، والثالث انه في حالة توسع مستمر، والرابع انه سوف ينتهي وينطوي على نفسه في وقت ما، وهذه المطالب الأربعة لم يتم اكتشافها

---

[1] * سورة الأنبياء / 104

الا في العصور الحديثة بينما ذكرها القرآن قبل 1400عام من وقتنا هذا، والسؤال الذي اوجهه اليك الآن ما يلي: من كتب هذه المعلومات الكونية الأربعة في القرآن؟

تحيرتُ في اجابته ولم أكن اتجرأ على مصارحته بما يدور في ذهني الا بعد ان قال لي:

. قل لي يا احمد أي امر يدور في ذهنك او تحتمل انه يكون جوابا لسؤالي هذا، وانت تعلم أني لستُ من الذين ينزعجون او يكفّرون من يعرض فكره واعتقاداته بحثا عن الحقيقة وان كان مخالفا.

أصبحتْ لي الجرأة في اجابته وهممتُ بها ولكن بماذا اجيبه، فان قلتُ له ان النبي محمدا (ص)

هو الذي كتبها، فمتى كان النبي عالم فضاء، وان قلتُ ان علماء عصره هم الذين أملوا عليه هذه المعلومات ثم كتبها في القرآن فاني اعلم ان علماء ذلك الوقت كانوا يعتقدون وبإصرار ويقين بأزلية الكون، وانه ليس له بداية ولا نهاية، ثم متى كان لديهم تلسكوبات وأجهزة كمبيوتر عملاقة تحلل الموجات الراديوية لتكشف توسع الكون وابتعاد المجرات عنا، بماذا اجيبه؟!

يبدو ان الأستاذ مناف علم بحيرتي وما يدور من نقاش مع نفسي، لذا لم ينطق بشيء، بل تركني على حالي سابحا في الفكر والتفكر وعرض

الاحتمالات وتساقطها واحدا بعد الآخر حتى مضت الدقائق دون كلام بيننا، حينها قال:

. عزيزي احمد ان نقاشنا لم يكن الا في أربعة مسائل كونية تعرّض لها القرآن الكريم، وامثال هذه توجد العشرات فيه.. والآن اتركك لتفكر حتى غد انشاء الله.

ترددتُ في مفاتحته والطلب منه باستخدام الحاسوب الذي في غرفة إدارة المسجد، لذا خرج وانا انظر اليه ولم اقل له شيء، وهممتُ بمناداته ولكن لم تسعفني جرئتي على ذلك فأوكلتُ الامر الى وقت آخر..

عدتُ الى والدتي واخبرتها كعادتي يوميا بالحديث الذي دار بيني وبين الأستاذ مناف، ولكني هذه المرة لاحظتُ عدم سرورها وتفاعلها معي، واحسستُ انها تخفي امرا ما تحاول عدم اظهاره لي. نظرتُ الى سما فرأيتها نائمة وقد اصفر وجهها ونحل جسمها. وضعتُ يدي على جبهتها ويديها وإذا بالحرارة تشع من كل انحاء جسمها، الويل لي.

قلت لوالدتي:

. ما الذي حدث؟ لماذا لمْ تخبريني بها؟ لماذا لم تحمليها الى الطبيب، الا ترين ان حالتها سيئة جدا لا تحتمل التأخير.

دمعت عيناها واركست رأسها، وقالتْ:

. الا تعلم يا احمد ان ليس لدينا شيء نطعمها به، فكيف تطلب مني حملها الى الطبيب، من اين أأتي بأجرة الطبيب والدواء؟

قالتْ هذا بعد ان ابتل وجهها بدموعها، فتأثرتُ كثيرا وخرجتُ الى شوارع المحلة هائما لا اعلم ماذا افعل، والى أي وجهة أتوجه حتى وصلتُ الى مجموعة مشغولة في بناء بيت في أحد ازقة المحلة فقلتُ لأحدهم: الا تريدون عامل معكم؟

فوجئتُ بالضحك والسخرية منهم، ثم قال أحدهم ويبدو انه رئيسهم: الا ترى الشمس تقترب من المغيب فأي عمل تريد الآن؟ ثم التفتَ الى رفقائه وصاح بهم: اجمعوا وسائلكم حتى نذهب!

ساد الظلام وانا اتجول واسأل أصحاب المحلات عن أي عمل لديهم وباي اجرة كانت، ولكن اغلبهم كان يجيبني بالنفي ان لم يسخر مني او يطردني.

ذهبتُ الى المكان الذي كان يتجمع فيه الناس امام عيادات الأطباء، وفي زاوية منه رأيتُ عدة نساء قد جلسن يستعطين الناس ويستجدين منهم، وحينما اقتربتُ منهن كانت المفاجئة الكبرى! نعم، رأيتُ وليتني ما رأيتُ..

اقتربتُ أكثر فأكثر حتى تيقنتُ انها سما، نعم، سما بعينها لا غيرها، كانت نائمة مغشيا عليها في حضن احدى النساء اللواتي يستعطين من الناس

وقد غطّتْ وجهها بالقماش الأسود المشبك كي لا يعرفها أحد، ولكن من هي هذه المرأة؟! يا الهي! انها والدتي، انها مديرة المدرسة التي كان يقوم لها المعلمون، ويخافها الطلاب، ويتوسل لها الآباء والأمهات..، تبا وتعسا لهذه الدنيا الدنيئة التي لا تعطي قيمة للإنسان الا بالأموال.

ماذا بوسعي العمل الآن، غيرتي لا تسمح لي ابقائها في هذا المكان، وفي الوقت نفسه اختي بحاجة للعلاج وحياتها أغلى عندي من نفسي. اذن اغادر المكان واعود الى السكن وكأن عيني لم تر شيئا.

عدتُ الى السكن وحملتُ القرآن وحاولتُ فتحه والتأكد من وجود الآيات التي ذكرها الأستاذ مناف، ولكن فكري وحالي ما كان يسمح لي حتى عادتْ والدتي وهي مستبشرة وتقول سوف تشفى اختك بأذن الله، لقد تم اخذ التحاليل منها والنتيجة غدا، فسألتها:

. ومن اين اتيتِ بمبلغ مراجعة الطبيب؟

قالت:

. ما من نعمة الا من الله، يرزق من يشاء بغير حساب.

نعم، قالت هذا، ولم تعطني فرصة أكثر للسؤال منها، اذ خرجتْ من الغرفة للوضوء والصلاة، اما انا فقررتُ عدم السؤال حتى في وقت آخر.

حملتُ القرآن مرة أخرى وبحثتُ فيه عن الآيات التي دار الحديث عنها هذا اليوم مع الأستاذ مناف فوجدتها جميعا وفي نفس الأماكن التي ذكرها، لذا قررتُ الاستمرار في البحث بجدية أكثر، وخاطبتُ نفسي في حوار بيني وبينها: اذا كان القرآن حقا من عند الله فيعني ذلك ان الحياة بعد الموت حق لأني سمعتُ من قبل ان ثلث آيات القرآن تتحدث عن الأخرة وعذابها ونعيمها، الويل لي.. ولأني تركتُ ما امر الله به في قرآنه فهذا يعني أني سوف

يُقذف بي في النار بعد الموت، وانا لا اطيقها لحظات فكيف أبقى فيها ولا أُخرج منها.

وجاء موعد اللقاء مع الاستاذ مناف في اليوم التالي، وقبل ان يبدأ حديثه قلتُ له:

. أستاذ، انا فكرتُ في الآيات التي ذكرتها يوم أمس، وبحثتُ عنها في القرآن فوجدتها كما ذكرتَ، وكل احتمال طرحته في نفسي على ان كاتب هذه الآيات من البشر يسقط ولا يمكن له الثبات امام معجزاتها في الأخبار عن حقائق علمية بعيدة كل البعد عن العصر الذي ظهر فيه القرآن.

تبسم الأستاذ، وقال:

. جيد، وماذا قررتَ؟

. قررتُ مع نفسي انه إذا ذكرتَ لي ثلاث آيات أخرى واقتنعتُ بها انها أيضا تحمل معجزات لا يمكن تأويلها بأنها من صنع البشر، فأني سوف التزم بكل ما أمرني به الله في كتابه، بل سأنذر نفسي أكثر وأكثر في البحث عن معجزات هذا القرآن، وأكون داعيا اليه بكل ما أملك من قوة حتى يرضى عني الله وانجو من عذابه.

. هذا جيد يا احمد، سأذكر لك الثلاث آيات التي اردتها، ومئات الآيات الأخرى اتركها لك انت تبحث فيها وتستخرج اسرارها ومعجزاتها.

مددتُ يدي اليه وقلتُ له:

. اعطيك كلام بذلك يا أستاذ.

صافحني واحسستُ السرور والارتياح مما عرضته له، ثم بدأ في حديثه، فقال:

. واما مجموعة الآيات الأولى فهي الآيات التي ذكرت الدخان في بداية نشوء الكون وفي نهايته.

. وهل للكون دخان في بدايته ونهايته؟

. يقول الباحثون في علوم الفلك والفيزياء الفلكية ومن خلال تحليلاتهم لآثار أجزاء هذا الكون من الذرة الى المجرة ان الكون الذي نراه اليوم قد مر بمرحلة كان مملوءاً بالغازات والابخرة والغبار الكوني والاشعاعات، وهذه هي مكونات الدخان، وهذه الحقيقة لم تتضح للعلماء الا بعد جهودا طويلة

من البحث عن بدايات الكون في النصف الثاني من القرن العشرين.

. وماذا قال القرآن عن هذه الحقيقة؟

. اما القرآن العظيم فيحدثنا عن تلك المرحلة من خلق الكون بقوله تعالى في الآية 11 من سورة فصلت (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[1].

. سبحان الله! احقا ان هذه الآية موجودة في القرآن؟

. نعم يمكنك التأكد منها.

---

[1] * سورة فصلت / 11

. اذن ارجوك يا أستاذ ان تعود وتذكر بتفصيل أكثر رأي علماء عصرنا بشأن هذا الموضوع فاني لازلتُ اطمئن بالتكنلوجيا والعلوم الحديثة أكثر من غيرها.

. في الثامن من نوفمبر سنة 1989 ميلادية أطلقت وكالة الفضاء الأمريكية ناسا مركبة باسم مكتشف الخلفية الإشعاعية للكون حيث ارتفعت هذه المركبة إلى مدار حول الأرض يبلغ ارتفاعه ستمائة كيلومتر فوق مستوي سطح البحر، وكان الهدف منها قياس درجة حرارة الخلفية الإشعاعية للكون، وقياس كل من الكثافة المادية والضوئية والموجات الدقيقة فيه بعيدا عن تأثير السحب

والملوثات الموجودة في الغلاف الغازي للأرض، وقام هذا القمر الصناعي المستكشِف بإرسال قدر هائل من المعلومات والصور لآثار الدخان الكوني الأول الذي نتج عن عملية الانفجار العظيم للكون، ولمسافات تصل الى عشرة مليار سنة ضوئية، وأثبتتْ تلك الصور أن هذا الدخان الكوني في حالة معتمة تماما تمثل حالة الظلام التي سادت الكون في مراحله الأولى، ويقدر العلماء كتلة هذا الدخان المعتم بحوالي 90% من كتلة المادة في الكون المنظور.

وكتب جورج سموت أحد المسئولين عن رحلة هذا القمر الصناعي تقريرا نشره عام 1992 م عن

النتائج التي تم الحصول عليها من هذا العدد الهائل من الصور الكونية كان من أهمها الحالة الدخانية المتجانسة التي سادت الوجود عقب الانفجار الكوني العظيم، وكذلك درجة الحرارة المتبقية على هيئة خلفية اشعاعية أكدت حدوث ذلك الانفجار الكبير.

يقول أحد كبار علماء الفيزياء الكونية الدكتور وينبيرغ في كتابه: (علم الفلك الحديث النظري منه والقائم على الرصد يدل بوضوح وجلاء أنه في نقطة زمنية محددة لم يكن الكون فيها سوى سحابة من دخان)[1].

---

[1] * كتاب (الثلاث دقائق الأولى، نظرة حديثة لاصل الكون) / ص94 الى ص 108

. افهم من كلامك ان العالم وينبيرغ وضع اسما لهذا الدخان بنفس الاسم الذي أطلقه عليه القرآن؟

تبسم الأستاذ مناف، وقال:

. نعم، ولكن بالطبع باللغة الإنكليزية، وازيدك أيضا جوابا على سؤالك هذا ان العلماء بعدما تطورت معرفتهم بالكون، واستطاعوا إحضار جزيئات هذا الدخان الكوني الذي كانوا يسمونه غباراً كونياً وأخضعوها للتحليل المختبري، هل تعلم ماذا كانت النتيجة؟

. ارجوك يا أستاذ استمر في الحديث ولا تسألني، فمن اين لي العلم بنتيجة تحليلاتهم.

. يقول العالم الذي أشرف على هذا التحليل في مختبرات وكالة الفضاء الأمريكية ناسا: (إن هذه الجزيئات التي كنا نسميها غباراً كونياً لا تشبه الغبار أبداً، وإذا أردنا أن نصف بدقة فائقة هذه الجزيئات فإن أفضل كلمة لها هي كلمة (دخان) وباللغة الإنكليزية تعني (smoke).

. سبحان الله، وهو عين ما أشار اليه القرآن قبل ألف وأربع مئة عام.

ولكيلا أنسى الآية المعنية بهذا الموضوع كررتها وبصوت مسموع: (ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعاً أَوْ كَرْهاً قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ)[1].

---

[1] * سورة فصلت / 11

ساد الصمت لأني غرقتُ في بحر من الفكر، واما الأستاذ فكان ينتظر مني أي تعليق أقوله حتى سألته:

. انا وعدتك بالأيمان بان القرآن كتاب الله ان ذكرتَ لي ثلاث آيات أخرى، فماذا عن الثانية؟

. الآية الثانية التي بحثتُ عنها وهيئتها لك تلك التي تقول (أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّا نَأْتِي الأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللّهُ يَحْكُمُ لاَ مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ)[1].

. هذه الآية طرقتْ سمعي مرات عديدة ولكني لم افهم مقصدها.

---

[1] * سورة الرعد / 41

. هذه من الآيات التي لا يمكن لأي عالم فلك مهما كان مستواه ان يفهمها وهو في زمن نزول القرآن، فضلا عن ان يكتشفها، وذلك لعدم توفر وسائل وأجهزة قياس دقيقة قي ذلك العصر.

. أستاذ لقد شوقتني لمعرفتها، فعن أي شيء تتحدث هذه الآية؟

. تحير علماء القرن العشرين في سبب ان قطر الارض عند خط الاستواء يزيد على قطرها عند القطبين بمقدار 43 كيلومتر حيث يصل قطره عند خط الاستواء الى 12756.8 كم تقريباً، فهل هذا الفرق ثابت ام يزيد ام ينقص!

اكتشف العلماء وبواسطة الأجهزة الحديثة ان الأرض تدور حول نفسها بسرعة 1600 كيلومتر في الساعة، وتدور حول الشمس بسرعة 100,000 كيلومتر في الساعة، وهذا الدوران المستمر على مر الملايين من السنين يؤدي الى انكماش الأرض وتناقص قطرها عند القطبين بسبب القوة النابذة الهائلة المتولدة عند خط الاستواء، ولذلك نجد ان شكل الأرض بيضويا وليس كامل الاستدارة.

. سبحان الله، وهل حدد العلماء مقدار هذا النقصان كم يكون بالأمتار؟

. ان التناقص في قطر الأرض عند القطبين لا يتجاوز البضع مليمترات فقط.

. ولكن كيف تمكنوا من تحديد هذه المليمترات خلال سنة كاملة؟

. ان مسافة دقيقة في فترة كهذه لا يمكن قياسها مباشرة، بل تم استنتاجها من خلال الأرقام والحسابات الكمبيوترية الدقيقة جدا.

يبدو ان الأستاذ اكتفى بهذا المقدار من التوضيح، اذ توقف عن الحديث، اما انا فغرقتُ في التفكير والتأمل في الآية وتوقفتُ عند كلمة (ننقصها)، حينها قلت للأستاذ مناف:

. أستاذ، ان كلمة (ننقصها) تعطي معنى الاستمرار وتعني ان الأرض كانت تنقص ولا زالت تنقص من أطرافها، وهو عين ما اكتشفه علماء القرن العشرين، اليس كذلك؟

. نعم، هو كذلك يا احمد.

. وماذا كان يعتقد القدماء بالنسبة الى الأرض؟

. كان الاعتقاد السائد لديهم انها مسطحة كالقرص، ولم يكن أحد يتصور في ذلك الوقت انها ممكن ان تكون كروية الشكل مائلة للبيضاوية، اما القرآن الكريم فقد جاء وسط هذه الاعتقادات السائدة آنذاك وقال في الآية 30 من سورة النازعات (وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَاهَا).

. وما معنى كلمة (دحاها)؟

. توضح المعاجم اللغوية أن كلمة (دحاها) تعطي معنى جعلها كالدحية أي كالبيضة، وهو عين ما اثبتته الصور الحديثة للأقمار الصناعية الملتقطة لكوكب الأرض.

صمت الأستاذ مناف قليلا، ثم قال:

. واما الآية الثالثة فاتركها ليوم غد ان شاء الله.

قمنا وافترقنا، ولكني هذه المرة لم اعد الى غرفة السكن لأنه لا طاقة لي على رؤية سما تتلوع من المرض، ولا طاقة لي على النظر بوجه والدتي وهي تتألم من رؤية سما على هذا الحال.

وقفتُ متحيرا في باب المسجد ثم جلستُ على عتبة بابه وقلتُ في نفسي: إذا كان الذي انزل هذا القرآن هو الله الذي أعلن في قرآنه انه هو خالق السماوات والارض بتلك الدقة والوسعة والعظمة، فبالتأكيد هو قادر على ان يرزقني بما أنفق منه على نفسي واهلي، ولكن الا يحتاج ان اطلب منه ذلك؟

تعمقتُ في التفكير، واشتدت حرارة الحوار مع نفسي، فقلتُ مخاطبا إياها: ان أي شخص يذهب لطلب حاجته من ملك او سلطان فلابد له من تهيئة مقدماته، وان يكون قد عمل بأمره وانتهى عما نهى

عنه ذلك الملك، وكذلك عليه ان يثبت اخلاصه له ثم يذهب اليه.

اما انا فهل عملتُ بما امر به الله وانتهيتُ عما نهى عنه؟ هل اخلصتُ له وانا قد قطعتُ رابطتي معه من الجذر بترك الصلاة، باي وجه أقدم عليه واطلب حاجتي منه وانا بتلك الوساخة المعنوية وذلك التمرد والتباعد عنه؟!

قررتُ مع نفسي ان أغير مجرى حياتي كلها وسوف يكون ذلك غدا بعد ان اسمع الآية الثالثة من الأستاذ مناف واقتنع بيقين تام ان القرآن من الله.

وجاء يوم غد بعد انتظار شديد فكان حالي كالذي ينتظر الفرج لحظة بلحظة وتيقن به!

قال الأستاذ مناف حين اللقاء به وبعد تبادل التحية والسلام:

. واما الآية التي اريد قراءتها لك اليوم فهي التي تشير الى ان الرياح لواقح..

قاطعته، وقلتُ له:

. ارجوك يا أستاذ، منذ القديم علم الناس بدور الرياح في تلقيح النباتات، وليس في ذلك الخبر معجزة للقرآن فاختر لي آية أخرى.

تبسم، وقال:

. مهلا يا احمد، انا لم اقصد تلقيح الرياح للنبات، بل للغيوم ولعلاقتها بنزول الامطار، وهذا الامر لم يكن أحد يعرفه الا في العصور الحديثة.

احسستُ بالخجل منه لاستعجالي الأمور ومقاطعته قبل اكمال حديثه، فاعتذرتُ وطلبتُ منه الاستمرار، فقال:

. الآية تقول **(وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)**[1]

. وكيف تتم عملية التلقيح للغيوم؟

. لقد قام علماء الأرصاد الجوية ببحوث طويلة حول آلية تشكيل الغيوم ونزول المطر حتى توصلوا

---

[1] * سورة الحجر / 22

الى اثبات دور الرياح فيها، وتتلخص العملية بما يلي:

بسبب اشعة الشمس تحدث عملية تبخير الماء من البحار والأنهار والمحيطات، وعندما يرتفع هذا البخار إلى طبقات الجو العليا حيث درجات الحرارة المنخفضة (تحت الصفر) فإنه يبدأ بالتجمع والتكثف، الا ان هذه التجمعات من البخار لا تزال قليلة الكثافة ولا تتمكن جاذبية الأرض من جذبها لتنزل على شكل مطر، لذا يأتي دور الرياح في تلقيح تلك الغيوم لتصبح ثقيلة قابلة لهطول المطر منها، حيث تقوم الرياح بحمل جزيئات صغيره جدا لا تُرى بالعين المجردة (اسموها العلماء نويات

التكاثف) الى هذه التجمعات من الابخرة كي تلتف حولها هذه الأبخرة وتصبح ثقيلة جدا تتمكن جاذبية الأرض من جذبها واسقاطها على شكل مطر، وقوام هذه النويات هو أملاح البحار، وما تذروه الرياح من سطح الأرض، والأكاسيد والأتربة. ان هذه الحقيقة لم يكن يعرفها أحد في زمن نزول القرآن، والقرآن يذكرها متحديا علماء عصره والعصور اللاحقة حينما يقول (وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ لَوَاقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)[1]

وفي هذه الآية أيضاً يوجد حديث عن خزانات الماء الضخمة الموجودة في باطن الأرض، وهذه

---

[1] * سورة الحجر / 22

الخزانات لم يتم الكشف عنها إلا حديثاً، اذ إن الأمطار المتساقطة على الأرض تتسرب إلى مسامات التربة والفراغات بين الصخور، وتُخْتَزن لآلاف السنين دون ان تفسد او تفقد خواصها، لذلك نرى أن العلماء حديثاً يهتمون بالمياه الموجودة تحت سطح الأرض كخزانات ضخمة وموارد محتملة للمستقبل، وكل ذلك موجود في عبارة **(وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ)**.

كما ان الآية أيضا اشارت الى صلاحية ماء المطر للشرب في قوله تعالى **(فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ)**، والتحليلات المختبرية الحديثة اثبتت درجة نقاوة ماء

المطر العالية وصلاحيته للشرب من بين أنواع المياه الأخرى.

وهناك آية أخرى تشير الى وزن الغيوم الثقيل في وقت كان يعتقد الناس بخفتها كونها طائفة في الفضاء، ولم يكن أحد يتصور ان وزنها يبلغ مئات الأطنان!!

دهشتُ كثيرا حينما سمعتُ منه هذا الرقم الكبير من الاوزان، فقلتُ له:

. وهل صحيح ان وزن الغيوم يبلغ مئات الأطنان؟

أجاب سؤالي بالسؤال، فقال:

. هل فكرت ذات يوم كيف يتم تقدير وقياس وزن الغيوم؟ ربما لم تفكر في ذلك، أو اعتقدتَ بأنه ليس هناك وزنا للغيوم. لقد قاس العلماء كثافة الماء لسحابة خفيفة في يوم جميل بنصف جرام لكل متر مكعب، ولكي نعرف وزن غيمة معينة لابد ان نعلم أولا كم هو حجمها، واستخدم العلماء ومنهم (بيجي ليمون) أكبر علماء المركز الوطني لأبحاث الغلاف الجوي في الولايات المتحدة السبل والأجهزة المتطورة في قياس حجم الغيوم، وتبين ان الغيمة العادية تكون تقريبا بمسافة كيلومتر واحد في الطول والعرض، وعادة ما يكون ارتفاعها كيلومتر

واحد ايضا. اذن حجم الغيمة هذه سيكون مليار متر مكعب في الحجم!

وباستخدام الكثافة نصف جرام لكل متر مكعب والحجم مليار متر مكعب يكون ناتج وزن هذه الغيمة 500,000,000 جرام وهو ما يعادل 500 طن، وإذا تراكمت الغيوم فوق بعضها يصل مجموع اوزانها الى ملايين الأطنان!

استغربتُ كثيرا من كلامه مرة أخرى وصرختُ في وجهه:

. ملايين الأطنان؟! هل من المعقول ان يصل وزن غيوم طائفة في السماء الى هذا القدر؟!

. نعم، بل ان بعض الغيوم يصل ارتفاعها الى ثلاثة كيلومترات فهي كالجبال في ارتفاعاتها، وكما وصفها ربنا تعالى في الآية 43 من سورة النور حينما قال: (... وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ)[1].

توقف الأستاذ مناف قليلا، ثم قال:

. يبدو ان الدهشة انستك السؤال عن تلك الآية التي ذكرت ثقل وزن الغيوم، الا تريد ان اذكرها لك؟

. بالتأكيد اريد ان اسمعها.

---

[1] * سورة النور / 43

. الآية تقول **(هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفاً وَطَمَعاً وَيُنْشِئُ السَّحَابَ الثِّقَالَ)**[1].

. ولكن كيف تحتمل الغيمة ما وزنه 500 طن وتبقى طافية في السماء؟!

. الوزن لا يتركز على أجزاء معينة من الغيمة، بل يتوزع على تريليونات من قطرات الماء الصغيرة التي تنتشر في مساحة كبيرة، وبعض من هذه القطرات ما يكون متناهيًا في الصغر، اذ يحتاج لتشكيل قطرة مطر واحدة ان تجتمع الملايين من هذه القطرات متناهية الصغر.

---

[1] * سورة الرعد / 12

. سبحان الله، ان كل اية تذكرها لي يا استاذ وفيها ما يعجز العقل البشري عن كتابتها في زمن نزول القرآن، ولا سبيل لتفسيرها الا ان نقول انها من الله، انني أرى نفسي قد انحرفت كثيرا عن المسار الذي كان لابد لي ان اسلكه، وسوف يكون اليوم هو اليوم الفاصل بالنسبة لي بين حياة الغفلة وحياة اليقظة والصحوة.

لم ابالي بوجود الأستاذ مناف او أي شخص في المسجد، وقمتُ من مقامي الى زاوية منه وسجدتُ لله! نعم، لأول مرة احسستُ بصدق هذه السجدة وخلوصها، واعلنتُ فيها ايماني بالله وكتابه

المُنزَّل من عنده، كما نذرتُ ما بقي من عمري في البحث عن اسرار ومعاجز القرآن.

عدتُ الى والدتي، وما ان دخلتُ عليها حتى اقتربتُ منها وقبّلتُ يديها، فاستغربتْ من فعلي هذا، وقلتُ لها:

. أماه، انت التي اوقدتِ لي شمعة أضاءت لي دربي، ووضعتِ قدمي على طريق الهدى والنجاة، انتِ التي كنتِ سبب يقظتي من نومي العميق في عالم الجهل والظلام، فبأي شيء أجازيكِ، بل كيف أستطيع رد هذا الجميل لك؟

كنتُ انطق بهذه الكلمات والدموع تجري مني وقد اختلطتْ بدموعها حين ضمتني الى صدرها

الحنون وقبّلتني.. لم تدعني تلك اللحظات ان اطلب منها العفو عني وعن كل كلمة جرحتها بها، وعن كل صوت تعالى على صوتها، وعن كل نظرة اليها وقد خالطها تضجّر واستياء.

نعم، لم أتمكن من النطق بكل ذلك بسبب البكاء الذي تعالى مني ومنها.

بعد ان هدأتُ ومسحتْ دموعي بيديها قلتُ لها:

. اماه، لماذا فعلتِ كل ذلك من أجلي؟

قالتْ:

. عزيزي احمد، ان ربي أودع في قلوب الأمهات عاطفة الأمومة التي لا حدود لها، وكمال تلك العاطفة والحب من الأم لولدها ان تتجاوز حدود

هذه الدنيا الفانية الى عالم الآخرة والبقاء الأبدي، فتفدي نفسها من أجل ضمان سعادة ولدها في ذلك العالم.


نهاية الفصل الثالث

الفصل الرابع:

الوالدة في خطر

كان صباح اليوم التالي يختلف تماما عما قبله من الاصباح اذ اديتُ فيه صلاة الصبح بعد انقطاع دام سنين عدة، وكانت حقا لله. نعم، لم أكن متثاقلا فيها ولا مستاءً منها كما سبق، بل احسستُ فيها براحة واطمئنان لارتباطي فيها مع رب عظيم على كل شيء قدير، وبيده رزقي وحاضري ومستقبلي، بل بيده امري وامر الخلائق كلها. تناولتُ الإفطار مع والدتي بينما كانت سما نائمة، وكان افطارنا رغيف خبز خالي تصدق به علينا جيران المسجد.

اردتُ الخروج بحثا عن عمل كعادتي في كل يوم، وحين فتحتُ باب المنزل للخروج قالتْ لي والدتي:

. عزيزي احمد، اريدك ان تشغل وقتك بالبحث عن معاجز القرآن، وان تذهب اليوم للتسجيل في المسابقة التي اتينا العاصمة من اجلها.

قاطعتها وقلتُ لها:

. أماه، لا يمكن ذلك، لابد أولا من تأمين الطعام والمصرف قبل أي عمل آخر، اما ترين سما تحتاج الى الدواء وليس من المعلوم ماهي نتيجة تحاليلها حتى الآن.

قالتْ بهدوء وطمأنينة:

. انا اعلم كل ذلك، وقد حصلتُ على عمل في أحد الفنادق المجاورة.

فرحتُ كثيرا حين سماعي ذلك منها، فسألتها:

. ومن الذي اوجد لك هذا العمل؟

قالتْ والبسمة تعلو على وجهها:

. (.. وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجاً*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ..)[1].

---

[1] * سورة الطلاق / 2-3

. بالتأكيد ستكون وظيفتكِ مديرة إدارة او حسابات للفندق، إنك تستحقين ذلك يا اماه.

. لا يا عزيزي، عاملة تنظيف!

صُدِمتُ من كلامها! لم اقل شيئا وخرجتُ وقلتُ في نفسي: مديرة مدرسة يقوم لها الصغير والكبير تشتغل عاملة تنظيف!! لا حول ولا قوة الا بالله.

بدأتُ البحث عن معاجز القرآن من جديد، وساعدني في البحث استخدام حاسوب المسجد بعد أخذ موافقته..

كنتُ اجمع في بحوثي بين مطالعة كتب التفسير لعلماء الدين وبين الكتب العلمية الحديثة،

ثم اخلو مع نفسي للتفكير والتدبر حتى أخرج بنتيجة ينبهر لها العقل.

ومن الآيات التي توقفتُ عندها الآية التي تقول **(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ إِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَفْعَلُونَ)**[1]. طالعتُ رأي بعض المفسرين القدماء حول هذه الآية فرأيتُ ان العديد منهم قد فهمها على أنها تتحدث عن حركة الجبال يوم القيامة، ولكن هذا الفهم غير صحيح، اذ ماذا نقول عن عبارة **(تَحْسَبُهَا جَامِدَةً)** أي تظنها ثابتة، ويوم القيامة لا يوجد ظن، بل إن الظن في الدنيا، أما

1 * سورة النمل / 88

يوم القيامة فكل ما نراه هو الحق واليقين!! اذن الآية تتحدث عن حركة الجبال في الدنيا...

قررتُ البحث في كتب العصر الحديث لمعرفة رأي علماء الجيلوجيا حول هذا الموضوع، ولله الحمد فان توفر الانترنيت قد ساعدني كثيرا في ذلك وفي التنقل من مكتبة الى أخرى، ومن عالِم الى أخر، فكان خلاصة ما توصلتُ اليه ما يلي:

للجبال حركة مع دوران الأرض حول نفسها، اذ لو صعدنا إلى الفضاء الخارجي فإننا سنرى الأرض وهي تدور، وتتحرك معها الجبال أيضا، وهذه الحركة للأرض لم تكن معروفة ابدا في زمن نزول القرآن، ولم تكن اية سفينة فضاء قد صُنعت في

ذلك الوقت حتى يروا حركة الأرض من خلالها، بل كان الاعتقاد السائد يومئذ انها ثابتة!!

كما وللجبال حركة أخرى قد اكتشفت حديثا الا وهي حركتها مع الواح الأرض، وخلاصتها ما يلي:

في عام 1912 اقترح العالم (الفريد ويجنر) نظرية الانجراف القاري بعد ما لاحظه من دلائل تؤكد أن القارات كانت كتلة واحدة، وبانجراف الواحها تكونت مع مرور الأزمان تلك القارات.

كانت هذه المرة الأولى التي يتحدث فيها شخص عن حركة اليابسة بما تحمله من جبال ووديان، لذا اتهمه الناس بالجنون، ولم يصدقوه، اذ كان من الصعب جداً تصور العلماء بأن هذه الكتل

الضخمة من اليابسة تطوف حول العالم! كان من الصعب أن يتخيل الناس أن الألواح الأرضية تتحرك وتمتد، وربما كان علماء أمريكا هم أشد عداءً لهذه الفكرة في ذلك الوقت، وبقي هذا العداء حتى منتصف الستينات من القرن العشرين، ولكن الحقائق العلمية والدلائل التي تثبت حركة ألواح الأرض أصبحت كثيرة وأكبر من أن تُدحض .

منذ السبعينيات من القرن العشرين بدأت نظرية تحرك القارات تأخذ شكل الحقيقة العلمية، حتى جاء القرن الحادي والعشرين عندما رأى العلماء حركة هذه القارات رؤية يقينية من خلال

الأقمار الاصطناعية والرادارات والمراصد الفلكية الضخمة.

اذن أصبح اعتقاد العلماء الآن ان القشرة الأرضية تتكون من مجموعة من الألواح، وتوجد بين هذه الألواح صدوع أو شقوق، وهذه الألواح في حالة حركة دائمة، وكنتيجة لتلك الحركة واصطدامها مع بعضها تتشكل الجبال، ويشبّه علماء الجيولوجيا اليوم سطح الكرة الأرضية بلوح مكسور إلى مجموعة ألواح، ومتوسط سماكة هذه الألواح 80 كيلو متر، وهذه الألواح تتحرك فوق طبقة ثقيلة وساخنة، وتسير بسرعة 10 سنتمتر في السنة. وعلى حدود هذه الألواح تتكون معظم

البراكين في العالم، وتكون هذه المناطق الحدودية من أكثر المناطق تعرضاً للزلازل والهزات الأرضية.

اذن صدق القرآن الكريم حينما قال **(وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ ...)** [1]

واللطيف انه خلال مطالعاتي علمتُ ان علماء العصر الحديث يعتقدون بان المرحلة الأولى لنشوء الجبال تبدأ من تمدد الواح الأرض ثم اصطدامها مع بعضها، وكنتيجة لذلك الاصطدام تتكون السلاسل الجبلية التي تفسح بدورها المجال لتكوّن

[1] * سورة النمل / 88

الأنهار، وهذه الحقيقة العلمية ومراحل نشوء الجبال والأنهار ذكرها القرآن الكريم قبل أكثر من ألف عام حينما قال **(وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا)**[1]، ففي هذه الآية نلاحظ مراحل التكوين واضحة وهي مد الأرض ثم نشوء الجبال ثم تكوّن الأنهار.

بعد يومين من اجراء التحاليل الطبية لسما، وحينما دخلتُ غرفة السكن وجدتُ والدتي في وضع مضطرب وقد ابتل وجهها بالدموع، وعندما رأتني لم تستطع إخفاء بكائها، ولم تستطع التكلم معي وكلما سألتها لم تجبني حتى هدأتْ وقالتْ:

---

[1] * سورة الرعد / 3

. احمد، ان اختك بحاجة الى عملية استأصال الغدة الخبيثة التي ظهرت في نتائج التحاليل، والتأخر في اجراء العملية يؤدي الى تضخمها وانتشارها في الجسم، حينها لا يمكن السيطرة عليها.

ارتفع صوت بكائها، وقالتْ:

. هذا كلام الطبيب ..

. وكم هي تكاليف اجراء العملية؟

. واحد مليون دينار!

. يا الله! واحد مليون دينار!!

ساد الصمت بعد ان بقي الجميع في حيرة، فمبلغ كهذا كيف يمكن لنا تأمينه.

انكسر الصمت بكلام والدتي، اذ قالتْ:

. انت تعلم يا احمد ان والدك أُعْدِم ظلما، وان بيتنا واموالنا قد تم مصادرتها بالباطل، وان السبب في ذلك كله جارنا (أبو قاسم) الذي لفّق الأدلة الكاذبة على والدك.

. نعم يا اماه انا اعلم ذلك. كل ما تعلميه انا اعلمه.

. كلا، انت لا تعلم كل ما اعلمه.

استغربتُ من كلامها، فكل تفاصيل الحادثة عندي، وقد عايشتها بنفسي، فأي شيء لا اعلمه؟

قالتْ ولازال بريق دموعها واضح في ملامح وجهها:

. انا اعرف القاتل والسارق الحقيقي الذي سطا ليلا على جيراننا وقتل نفر منهم وسرق أموالهم، انا اعلم بالذي كان لابد ان يُعدَم بدلا من ابيك، وسوف اذهب اليه لأفاوضه على دفع مبلغ عملية سما او اكشف امره.

. اماه، ماذا تقولين؟! من هو؟ وكيف علمتِ علم اليقين به؟

. في تلك الليلة كنتُ مستيقظة وقت الحادثة، وشاهدتُ من النافذة المجرم وقد دخل الى منزل المقتول، نعم شاهدته بعيني وعرفته من هو.

. ومن هو؟

. أبو قاسم، نعم، هو بعينه، ولا اشك فيه.

انفعلتُ كثيرا من كلامها، ولم اتمالك نفسي فصرختُ في وجهها:

. ولماذا كنتِ صامتة كل هذه المدة؟ ولماذا تركتِ ابي يُساق الى حبل الإعدام؟ ولماذا لم تقولي شيئا حينما صادروا بيتنا واموالنا؟ اماه، ارجوكِ قولي أي شيء.

يبدو ان كلامي قد القى أثره عليها، فراقتْ دموعها من جديد، وقالتْ:

. ان الشهود والدلائل المزوّرة التي قدّمها (أبو قاسم) للمحكمة جعلتْ كلامي موضع مسخرة للجميع، وكل من قلتُ له أني شاهدتُ القاتل بعيني يسخر مني ويتهمني باختلال العقل والجنون، حينها

تركتُ الامر وفوضتُ امري الى الله عسى ان يأتي اليوم الذي تُكشف فيه الحقائق وتتضح فيه الأمور...

. ولماذا لم تخبريني بهذا الأمر قبل هذا الوقت؟

. كنتُ اعلم أني ان اخبرتك به فإنك سوف تتمسك به، ولا يهدأ لك بال ولا حال، وسوف تحاول اظهاره باي صورة وشكل، حينها سوف يتهمك الجميع بالجنون كما اتهموني من قبل، ولا تحصل على أي نتيجة تُذكر.

هدأتُ قليلا عندما سمعتُ عذرها وجوابها، وقلتُ لها:

. وما الذي تريدين فعله الآن؟

. أَذهبُ الى ابي قاسم، وأخبره باني اعلم به قاتلا، واطلب منه مبلغ عملية سما مقابل السكوت عنه، نعم، لابد من ذلك والا فمن اين لنا مبلغها؟

. ولكن هذا الفعل لا يخلو من مخاطرة على نفسك، ولابد لي من الذهاب معك.

رفضتْ والدتي ذهابي معها باي حال من الأحوال، وانطلقتْ لتواجه المخاطر وحدها، فبقيتُ في الغرفة مع سما التي كانت غارقة في نوم عميق...

كانت الساعة الثالثة بعد الظهر حين غادرتْ والدتي الغرفة، فبقيتُ اعدّ الدقائق والثواني لعودتها،

وما أطول الوقت حينما ينتظر الانسان نتيجة تخص اعز انسان له في حياته.

حاولتُ إشغال الوقت بكتابة خلاصة لما طالعته وبحثتُ عنه في اليومين الماضيين حول معاجز القرآن، اذ كان البحث يخص الآية التي تتحدث عن جريان الشمس، فمسكتُ القلم والدفتر لأكتب الآية التي حفظتها بعد ان كررتها مرات عديدة، وكيف توصلتُ اليها كمعجزة من معاجز القرآن الكريم فكان كما يلي:

الآية تقول **(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)**[1]. السؤال الذي طرحته على

---

[1] * سورة يس / 38

نفسي هو لماذا استخدم القرآن الكريم كلمة (تجري) ولم يقل (تدور)، مع ان الشمس تدور حول مركز المجرة حسب علمي، كما ان الأرض تدور حول الشمس؟ ثم ما المقصود بالمستقر الذي تجري له الشمس؟

هذه المرة لم اذهب الى تفاسير القرآن للقدماء والمعاصرين، بل عزمتُ على مطالعة الكتب العلمية الحديثة التي تبحث عن الظواهر الفلكية، وخصوصا التي تبحث عن حركة الشمس والنجوم والأرض والكواكب فعلمتُ ما يلي:

إن حركة الشمس كانت لغزاً محيراً لآلاف السنين، فطالما نظر الناس إلى الأرض على أنها

ثابتة وأن الشمس تدور حولها، ولكن تبين فيما بعد أن هذا الاعتقاد خاطئ، والسبب في ذلك هو ببساطة أن كتلة الشمس أكبر من كتلة الأرض بآلاف المرات، وبالتالي لا يمكن للأرض أن تجذب الشمس إليها بل العكس هو الصحيح، فالشمس وبسبب كتلتها الكبيرة تجذب جميع الكواكب إليها تماماً كما تجذب الأرض القمر الذي هو أصغر من الأرض بكثير، ولذلك أيقن العلماء أن الشمس ثابتة والأرض تدور حولها! ولكن هل هذه هي الحقيقة كاملة؟

بحثتُ كثيرا في المواقع الالكترونية وخصوصا في موقع (Nasa) عن هذا الموضوع، وعلمتُ منها

ان العلماء قد اكتشفوا حركتين للشمس داخل المجرة: الأولى حركة دورانية حول مركز المجرة، والثانية حركة اهتزازية للأعلى وللأسفل، ولذلك فإن الشمس تبدو وكأنها تصعد وتنزل وتتقدم للأمام! وهو يشبه تماما جريان الخيول في حلبة السباق، او جريان أمواج الماء في الأنهار والبحار! وتتم الشمس دورتها كاملة حول مركز المجرة خلال 250 مليون سنة! بينما يستغرق صعود الشمس وهبوطها حدود 60 مليون سنة، وهي لازالت وما تزال تصعد وتهبط وتتقدم !!

ومن عجائب المقالات التي قرأتها مقالة بعنوان Streaming (Star) أي "جريان النجوم"، اذ

كانوا يستخدمون فيها كلمة (يجري) أو (Stream) للتعبير عن حركة الشمس والنجوم[1]، وهي الكلمة القرآنية ذاتها! هنا تذكرتُ آية أخرى قرأتها اثناء مطالعاتي، فعدتُ للبحث عنها في فهرست الآيات واستخرجتها، واندهشتُ منها كثيرا اذ كانت معجزة في كلامها حينما تصف حركة الشمس والقمر وتقول: **(وكل في فلك يسبحون)**[2]!

كما وجدتهم يستخدمون كلمة (Rest) اي المستقر وهي نفس الكلمة القرآنية الواردة في الآية **(وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا...)**!

---

1 * www.astrology.com

2 * سورة يس / 40

هنا توقفتُ لأبحث عن قضية كلمة (المستقر) بعد ان امسكتُ خيطا للبحث عنها، فماذا وجدتُ؟

لقد وجدتُ ان العلماء وبعد دراسات معمقة اكتشفوا أن الشمس تجري باتجاه محدد أسموه مستقر الشمس أو solar apex، ويعرّفه الفلكيون باللغة الإنكليزية كما يلي:

A point toward which the solar system is moving; it is about 10° southwest of the star Vega

أي هو النقطة التي تتحرك الشمس (مع كواكبها) باتجاهها، وبزاوية تميل 10 درجات جنوب

غرب نجم النسر بسرعة تقدر بحدود 19.4 كيلو متر في الثانية[1].

سبحان الله!! ما أعظم القرآن وهو يلخص كل هذه الاكتشافات والحقائق العلمية بعبارة واحدة (وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ)[2] في وقت لم يكن فيه أي تلسكوب ولا رادار ولا مراصد عملاقة!!

اقتربت الساعة من الثامنة مساءً ولم تعد والدتي، وفي الوقت نفسه ارتفع انين سما، وازداد تقلبها على فراشها من شدة الألم وهي بين الاغماء

---

[1] * موقع الكتروني (اسرار الاعجاز العلمي) للأستاذ عبد الدائم الكحيل

[2] * سورة يس / 38

والصحوة. اقتربتُ منها ووضعتُ يدي على جبهتها وإذا بها ساخنة جدا!

لم يكن لدي أي خيار غير قطعة القماش التي كنتُ اغمرها في الماء البارد بين الحين والآخر واضعها على جبهتها حتى يأتي الفرَج.

أصبحتْ الساعة التاسعة ليلا.. اميال الساعة كانت تجري دون أي حدث جديد، ولا خبر عن والدتي مما زاد قلقي عليها أكثر فأكثر، وأصبحتْ تراودني أفكار سيئة ومخيفة، فأبو قاسم ليس لديه مانع من قتل والدتي او إنزال أي بلاء بها من اجل إخفاء جريمته.

خرجتُ من الغرفة الى ساحة المسجد وهممتُ بالخروج الى الشارع، وما ان فتحتُ باب المسجد حتى رأيتُ والدتي واقفة خلفه. استغربتْ والدتي حين عانقتها وقلتُ لها:

. اماه، لا فارق الله بيني وبينك، ولا اعدمك الحياة وابقاني.

لاحظتُ عليها شحوب الوجه وانكسار من نبرة كلامها، وكأن خيبة أمل قد اصابتها، فقلتُ لها:

. أماه، هل قابلتِ (أبو قاسم)، وماذا كان جوابه؟

نظرتْ الى سما التي مازالت تتلوع من الألم فأدمعت عيناها، وقالت:

. نعم قابلته، ولكنه أنكر ورفض، بل ولم يسمح لي بالكلام بعد ان اشتد غضبه وعظمت ثورته.

علمتُ من كلامها خطر الموقف، فقلتُ لها:

. اماه، لابد ان تكوني حذرة في خروجك وتنقلاتك فلعله يصيبك بلاء منه، انه الآن لا يفكر الا بإخفاء جريمته، ويرى أنك الوحيدة التي يمكن ان تكون فضيحته على يديكِ.

يبدو انها لم تبالي بكلامي، ولم تكن تفكر بنفسها ومصيرها بقدر ما كانت تفكر في بنتها وكيفية انقاذها مما هي فيه، لذا توجهتْ نحوها وقد كانت نائمة على الأرض، ولم يكن تحتها الا حصيرة خفيفة، فجلستْ بجنبها، وارتفع صوت

بكائها، ولم تهدأ الا بعد ان اخبرتها باني سوف اذهب لطبيبها المعالج والتمسه قبول دفع مبلغ عمليتها بالآجل.

نهاية الفصل الرابع

الفصل الخامس:

النجوم الطارقة

في اليوم التالي توجهتُ الى عيادة الدكتور المختص، يسمونه الدكتور سليم، وبصعوبة بالغة تمكنتُ من الدخول اليه دون دفع مبلغ الدخول او الكشفيه كما يسمونها، وبعد الدخول اخبرته بحالتنا، وطلبتُ منه اجراء العملية لسما على ان ندفع له مبلغها بعد شهر من الآن، فقال وكأنه ليس بإنسان يلتمسه انسان آخر:

. انت تقول ليس لديكم لقمة للعشاء والغداء، فكيف ستدفع مليون دينار بعد شهر من الآن؟ لا، لا يكون ذلك.

تعجبتُ وحزنتُ كثيرا من كلامه، وقلتٌ له:

. انا اعلم، بل متيقن ان لو كانت بنتك هي المريضة والنائمة على فراش الموت فانك سوف تدفع مئات الملايين لأجل انقاذها، وقد انعم الله عليك بسلامتها، وانعم عليك بالمال الكثير الكثير، وانعم عليك بالجاه والسمعة والصحة والسلامة، وانا أقول لك اني ووالدتي واختي ننام ونستيقظ جوعى، و..

بدأت اعصابي تفور وتغلي، ولكني تمالكتُ نفسي، وقلتُ له بقلب محترق: لا اراك الله هذه النعمة مرة أخرى، بل اطلب من الله ان يزيلها منك اليوم كي تعرف وتحس بألمي انا ووالدتي، وتعرف

كيف نقضي وقتنا وكيف تمر الدقائق علينا بمرارة وعذاب.

خرجتُ من غرفته بعد اغلقتُ الباب بقوة، وتركتُ عيادته وانا اسمع من خلفي صراخه وشتمه لي بأنواع الشتائم البذيئة التي لا تليق بطبيب مثله.

ذهبتُ مسرعا قاصدا المسجد وهو محل سكناي، وفي أحد الشوارع التفتُ خلفي وفوجئتُ بالشخص الذي كان ينظف في عيادة الطبيب يمشي خلفي ويتابع خطاي أينما اذهب.

يبدو ان حرارة الموقف لازالت تفور في احشائي، فرجعتُ الى الخلف خطوات، ومسكته من قميصه، وسحبته معي، وقلتُ له:

. سيدك ارسلك لمتابعتي؟ تفضل، تعال معي لأريك القصر الذي نعيش فيه، والاثاث الفاخرة التي نستخدمها، والفرش الراقي الذي ننام عليه. تعال معي لماذا انت خائف ومذعور؟

لاحظته كان خائفا مترددا بين ان يتركني ويعود، وبين ان ينفّذ امر سيده، فقلتُ له:

. لماذا تقطع رزقك بيدك؟ إذا لم تنفذ ما قاله لك سيدك الطبيب فسوف يقطع مرتبك الشهري، ويطردك من عملك، حينها سوف يكون حالك كحالي، لا لن أرضى لك ذلك، تعال معي.

سحبته معي بقوة حتى اوصلته المسجد، وقلتُ له: هذا محل سكنانا، في تلك الغرفة الصغيرة جنب

المسجد ترقد اختي المريضة، ليس لدينا غير الماء نغمس فيه الخبز ونأكله، بقي الهواء، فاذا أراد سيدك ان يقطعه عنا فليفعل فانه ليس بيده.

لم اكتفي بذلك وطلبتُ منه ان يدخل الغرفة ليرى مريضنا الراقد على الفراش بعينه بعد ان اخبرتُ والدتي بارتداء عباءتها. دخل الغرفة معي واشرت له الى اختي الراقدة على الأرض الصلبة دون فراش تحتها، وقلتُ له: هل رأيتَ السرير والفرش الناعم الذي ننام عليه؟

لاحظتُ على وجهه علائم الدهشة والاستغراب بعد ان لم يشاهد أي اثاث في الغرفة، ولا طعام، ولا مدفئة في هذا البرد القارص.

لم يقل شيئا، ولم ينطق بكلمة، وخرج.

ساد الصمت بعد خروجه قليلا، ثم التفتتْ لي والدتي، وقالتْ:

. احمد، انت ترى ان جميع سبل نجاة اختك قد انقطعتْ. انا سعيتُ ولم احصل على شيء وانت كذلك، اذن لنعود الى جائزة الكتاب فكم بقي لديك من الوقت الى يوم المسابقة؟

. اماه، لم يبق الا خمسة وعشرون يوما، ولكني في تلك الظروف كيف أتمكن من التفكر ودراسة آيات القرآن في الوقت الذي يكون فيه فكري مشغول بأمر آخر؟

. انا اعلم ان هدفك الآن من الكتاب قد أصبح أعظم من أي وقت آخر، فانتَ اصبحتَ تطلب معاجز القرآن بحثا عن الحقيقة، بالإضافة الى ان نجاة اختك بات منحصرا بمبلغه وليس لدينا أي مصدر آخر غيره.

ارادت والدتي تغيير الأجواء وتهدئة الأوضاع، فقالت:

. اجلس يا احمد وقل لي اين وصلتَ في بحثك؟

. اماه، اليوم سمعتُ في أحد الفيديوهات التي بثتها وكالة ناسا الامريكية صوت مطارق النجوم، نعم، سمعتُ فيه صوت النجم الطارق.

. احمد، لم افهم ما تقول.

. اذن سوف اشرح لك الموضوع من بدايته:

من الآيات الكونية التي بحثتُ عنها الآية التي أقسم الله فيها بنوع من أنواع النجوم وهو النجم الطارق، اذ تساءلتُ مع نفسي ما هي حقيقة هذا النجم؟ وهل فعلاً يوجد في الكون نجوم تطرق، وفي الوقت نفسه تكون ثاقبة ايضا؟ إنها آية كونية جميلة وردت في اول سورة الطارق، اذ يقول الله تعالى فيها **(وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ * وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ * النَّجْمُ الثَّاقِبُ * إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ)**[1]

. وماذا وجدتَ في بحثك عن هذا الموضوع؟

[1] * سورة الطارق/1-4

.لقد وجدتُ الكثير. في عام 1967 رصد العلماء موجات راديوية كهرطيسية من خلال بعض التلسكوبات الراديوية الموجودة لديهم، اذ التقطت هذه التلسكوبات إشعاعات لنجوم مجهولة. في البداية ظن العلماء أن هذه الترددات الراديوية ما هي إلا رسائل من كائنات مجهولة، أو أنها شيء مجهول، ولكن بعد ذلك بقليل تبين أنها عبارة عن نجوم تبث هذه الأمواج الراديوية بصورة دقيقة ومنتظمة، وبعد ما قاموا بدراسة هذه النجوم دراسة دقيقة على مدى أكثر من ثلاثين عاماً وجدوا بأنها تتشكل نتيجة الانفجارات الحاصلة فيها، فعندما ينفجر هذا النجم ويتهاوى على نفسه فإن مادته

تتحول إلى نيوترونات عالية الكثافة، اذ يقول علماء وكالة ناسا إن هذه النجوم ثقيلة جداً بحيث يصل وزن السنتيمتر المكعب منها الى 100 مليون طن!

. 100 مليون طن؟!

. نعم، أي ما يعادل وزن جبل! كذلك فإن جاذبيتها وبسبب كتلتها الهائلة تزيد 200 بليون مرة على جاذبية الأرض!

. اوه، ما هذا الوزن والجاذبية!! ولكن لم تذكر لي حتى الآن اين طرقها؟ ولماذا سماها القرآن بالطارقة الثاقبة؟

بعد ان يتكون هذا النجم يبدأ بالدوران حول نفسه وبسرعة هائلة، اذ يدور مئات الدورات في

الثانية ويولد بذلك حوله مجالاً كهرطيسياً قوياً جداً، وهذا المجال يولد بدوره صوتاً يشبه صوت المطرقة، نعم يا اماه، لقد سمعته بنفسي وحفظته في ذاكرة الحاسبة التي في غرفة إدارة المسجد، كان صوته يشبه تماما صوت شخص وكأنه يطرق على باب خشب او حديد، ولذلك فإن العلماء وجدوا أن أفضل تسمية لهذه النجوم هي اسم المطارق العملاقة!

لاحظتُ والدتي قد تفاعلتْ كثيرا مع الموضوع حتى انها نسيتْ ان تلتفت بين الحين والآخر الى سما المغمى عليها كما كانت تفعل في بداية الحديث، فقالتْ متسائلة مني:

. كيف يمكن أن يكون الصوت حقيقياً، وانا اعلم أن الصوت لا ينتشر في الفراغ، فهذه النجوم بعيدة عنا جداً، وتفصلنا عنها سنوات ضوئية وفراغ واسع لا نرى حدا له، فكيف يصلنا وهو يحتاج الى وسط يسير فيه.

. إن هذه النجوم تصدر أصوات الطرق ثم تنتشر هذه الأصوات في مجال معين حولها، ولكن بعد ذلك تختفي ويبقى منها الأثر الراديوي لها، أي تبقى فقط الموجات الراديوية. والذي فعله العلماء أنهم جاءوا بهذه الأمواج الراديوية وقاموا بردها إلى شكلها الأصلي، تماماً مثل موجات الراديو، فالراديو يستقبل موجات ولا يستقبل أصواتاً، وهذه الأمواج

يعيد بناءها من جديد ويحولها إلى شكلها الأصلي، فنسمعها أصواتاً.

العملية ذاتها اتبعها علماء الفلك، وسجلوا هذه الأصوات بتقنيات خاصة وعرضوها لنا من مواقعهم العلمية، وهي أصوات حقيقية صادرة من هذه النجوم.

. فهمنا علت تسمية القرآن لها بالطارق، فلماذا سميت أيضا بالنجم الثاقب؟

. بعد دراسة طويلة لهذه المخلوقات الكونية وجد العلماء أن هذه النجوم تصدر موجات أسموها موجات جذبية تشبه موجات الجاذبية الأرضية، ولكن أقوى بملايين المرات، وهذه الموجات يقول

عنها العلماء بالحرف الواحد (إنها تثقب وتخترق أي شيء تصادفه) حتى إن الكرة الأرضية تُختَرق بالكامل من قبلها.

كنتُ اعلم ان والدتي تحب كثيرا هذه المعلومات الفلكية، لذا استثمرتُ ذلك في أن أنسيها بعض آلامها وهمومها فأخذتُ بيدها وطلبتُ منها الذهاب معي الى غرفة إدارة المسجد كي اريها بعضا من الصور وأسمعها صوت طرقات هذه النجوم.

لم تمانع من ذلك رغم بقاء سما نائمة وحدها في الغرفة اذ اخبرتها باننا سنعود سريعا.

أسمعتُ والدتي أصوات طرقات هذه النجوم في أحد الفيديوهات التي عرضتها عليها، كما عرضتُ

لها بعضا من الصور واشرتُ لها لصورة منها، وقلتُ لها:

. وهذه صورة بالأشعة السينية لنجم طارق يبعد عنا 800 سنة ضوئية، التقطتها وكالة ناسا وعرضتها بتاريخ 2000/6/9 اذ يبلغ قطر هذا النجم 12 كيلو متر.

انبهرت والدتي كثيرا حينما شاهدت ذلك كله.

قلتُ لها:

. نعم، ومصطلح النجوم الطارقة الثاقبة يستخدمه العلماء اليوم، ويقولون إن هذه النجوم تصدر أيضاً أشعة كونية من مادة اسمها النيوترينو وهي جسيمات صغيرة جداً لا شحنة لها، تبثها

وتصل إلى الأرض وتخترق الغلاف الجوي، وتخترق أجسامنا، وتخترق الأرض بالكامل، حتى إنهم نزلوا إلى أعماق البحار فوجدوا آثاراً لهذه الجسيمات الصغيرة (نيوترينو) ونزلوا إلى أعمق نقطة على سطح اليابسة ووجدوا آثاراً لها، ولذلك فإن كل شيء تبثه هذه النجوم يعتبر ثاقباً وخارقاً لأي شيء.

قالتْ والدتي:

. سبحان الله، ولذلك أسماها الله تعالى بالنجم الثاقب، وهذه التسمية دقيقة جداً.

قامت من مقامها ودموعها تتلألأ في عينيها، فقمتُ معها وسألتها عما حدث وما سبب هذه الدموع مع إني لم اقل شيئا يحزنها!

لم تجبني بكلمة واحدة، ولكنها نظرت لي نظرة عميقة ثم قبّلتني وقالتْ:

. عزيزي أحمد، أحمدُ الله تعالى ان وهبني الحياة لأراك وقد آمنتَ بالله واصبحتَ تبحث بنفسك عن دلائل وجود الله وعظمته بعدما كنتَ ناكرا له. انتَ لا تعلم كم ذرفتُ الدموع في الاسحار حسرة عليك، وكم توسلتُ بربي ان يهديك طريق معرفته والايمان به، بل اعلنتُ لربي اني حاضرة لتحمل كل بلاء وعناء مقابل هدايتك و..

لم تستطع والدتي اكمال حديثها بعدما غلبها البكاء، بل اختلط صوت بكائي معها وشاركتُها في الإحساس والدموع بعدما عانقتها وقلتُ لها:

. اماه، اعاهدك الاستمرار في هذا الطريق الذي اوقدتِ شمعته لي، واعاهدك ان لا اتركه مادام قلبي ينبض بالحياة.

افاقت سما من غيبوبتها فراحت تصرخ من شدة الألم حتى وصل صوتها الى غرفة الإدارة. هرعتُ مع والدتي نحو غرفتها لنجدها تتقلب على الأرض يمينا ويسارا من شدة الألم الذي تعاني منه.

لم تعلم والدتي ماذا تفعل فراحت تضرب على وجهها المبتل بالدموع، والقت بنفسها على بنتها تقبّلها وتقول لها:

. سوف اجري لك العملية وتشفين يا حبيبتي مهما كلف ذلك، نعم وان كلف حياتي!

قالتْ ذلك واخذت عباءتها بيدها وخرجتْ، لا اعلم الى اين خرجتْ وماذا تنوي فعله؟

بقيتُ في الغرفة انظر الى سما وقلبي يحترق الما عليها وهي تصرخ وتستغيث بينما لا أستطيع فعل أي شيء لها، اما والدتي فاين ذهبتْ؟ ترى هل ذهبت مرة أخرى الى (ابو قاسم) تهدده لتحصل منه على شيء من المال؟

اشتد سواد الليل، ومضت ثلاث ساعات بلا تكليف في صراع مع نفسي، هل اذهب ابحث عن والدتي، ام أبقى مع سما استمع الى صراخها من شدة آلامها التي راحت تأكل احشائها.

قررتُ الذهاب بحثا عن والدتي ولكن.. ولكن اين ابحث عنها وانا لا اعلم اين ذهبتْ. اذن ابقى مع سما ولكن.. ما الذي اصنعه معها فلا دواء عندي ولا ..

انقطعت الحيرة بسماع طرقات الباب فهرعتُ مسرعا متأملا ان تكون والدتي، وحينما فتحتُ الباب فوجئتُ برجل بوليس واقف خلفه. لم اعطه فرصة السلام والتحدث فصرختُ في وجهه:

. ارسلك الدكتور سليم للقبض علي، اجل، خدعكم بكلامه وغرّكم بأمواله، ولكن هيهات ان اذهب معك واترك اختي وحدها، اذهب لرئيسك وانقل له كلامي هذا.

لاحظتُ عليه اصفرار الوجه والحيرة والتردد في كلامه. أراد ان يتكلم بشيء ما وكأنه لا يجرأ على النطق به حتى شككتُ في امره، فقلتُ له:

. الم تأتي للقبض علي بسبب شجاري مع الدكتور سليم؟ ام لديك امر اخر؟

. كلا لدي امر اخر يخص والدتك.

صاعقة نزلت على رأسي حينما سمعتُ اسم والدتي، نعم، لم اتمالك نفسي ومسكته من قميصه، وقلتُ له:

. بالله عليك قل لي ما الذي حدث لوالدتي؟ هل أصابها مكروه؟ لماذا لا تقول أي شيء؟

جمع كل قواه وتجرأ على النطق وكأنه أصدر قراره النهائي بالكلام، فقال:

. لقد أصابها حادث سيارة ونريدك الحضور لمخفر الشرطة للجواب على بعض الأسئلة بشأنها.

. وأين هي الآن، وكيف حالها؟

لم يراعي أي مشاعر لي، ولا احساسات ولد وحيد غريب تجاه امه التي كانت شمعة حياته وثلمة فؤاده، بل كل فؤاده، فقال:

. لقد فارقت الحياة حينما نقلوها للمستشفى، وقبل وصولها اليه.

أصبحتُ لا أرى الدنيا إلا ظلمة داكنة، وتنفرتُ منها ومن عدم وفائها لأصحابها وسكانها، وباتت الذكريات تلازمني في كل لحظة وحركة، ذكريات تلك الام التي افدت بحياتها من اجلنا، انها نادرة في وجودها...

لم أخبر سما بوفاة أمها، وكلما دخلتُ الغرفة التي ترقد فيها يعتصر قلبي حينما اراها تتلوع

وتصرخ من شدة الوجع الذي يمزق احشائها، وكلما تسألني عن امها أقول لها انها سافرت من أجل توفير مبلغ عمليتها، وذات مرة دار حديث بيني وبينها، فقالتْ وحالها لا يسمح لها التحدث كثيرا:

. أي سفر هذا الذي تقول عنه؟ هل هو سفر الآخرة؟ لماذا لم تقبّلني وتودّعني حينما ذهبتْ وكما كانت تفعل في كل مرة؟

احسستُ هذه المرة بجرئتي على اخبارها بانه سفر الآخرة. ترددتُ في ذلك ولكني اخر المطاف قررتُ اخبارها بما اخفيته عنها رغم سوء حالها.

أغمي عليها حينما علمتْ بالحادثة، ولا اعلم هل كان اغمائها هذه المرة بسبب مرضها ام لصدمة سماع خبر وفاة أمها وشمعة حياتها..

كنتُ لا أستطيع المطالعة والكتابة الا حين نوم او اغماء سما، وهذا ما تعودتُ عليه. لم يبق الا خمسة عشر يوما عن تاريخ تسليم الكتاب، وهو وقت ليس بالكثير، لذا شددتُ العزم على الاستمرار فيه ومهما كانت الظروف قاسية، اذ باتتْ حياة اختي متعلقة بالفوز بجائزته، كما إني اعطيتُ عهدا الى والدتي واقسمتُ على نفسي ان لا اترك هذا الأمر.

تركتُ سما في اغمائها وذهبتُ الى غرفة إدارة المسجد وبدأتُ ابحث واكتب عن آية سجلتها سابقا في دفتري الخاص، انها الآية 15 و 16 من سورة التكوير، اذ تقول:

(فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ* الْجَوَارِ الْكُنَّسِ* وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ* وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ)[1]، وقد تساءلتُ مع نفسي انه حسب علمي ان الله تعالى هنا يقسم بنوع من أنواع النجوم، ولكن أية نجوم هذه؟ وهل علماء الفضاء والأفلاك اكتشفوا نجوما بهذه الصفات (خُنَّسِ وكُنَّسِ) وبحيث تكون خانسة غير ظاهرة وفي الوقت نفسه تجري وتكنس وتنظّف!

---

[1] * سورة التكوير / 15-18

بدأتُ بالبحث في المواقع المختصة في الانترنيت عن هذا الموضوع وعن الاكتشافات الحديثة بشأن النجوم وكان أفضل ما وجدته هو مقالة اسمها (المقابر الكونية)[1] والتي كتب فيها كاتبها ما يلي:

الكون كائن حي فيه الحياة والموت، وفيه مقابر تدفن فيها النجوم.. دعونا نتأمل الاكتشاف العلمي الجديد لتهاوي النجوم داخل الثقوب العملاقة:

اكتشف العلماء دليلاً على سقوط نجم أو كوكب داخل ثقب أسود في مجرتنا، ويقول العلماء إن هذا الثقب القريب من مركز مجرتنا يجذب إليه مادة

---

[1] * موقع اسرار الاعجاز العلمي للأستاذ عبد الدائم الكحيل

النجم بشدة ويبتلعه، حيث يقوم بشفطه كما تفعل المكنسة الكهربائية التي تشفط الغبار.

لاحظ العلماء تدفق مفاجئ لتيار من الغاز ينطلق من النجم باتجاه مجهول، ويشكل دوامة تلتف حول الثقب الأسود، مع العلم أن الثقب الأسود لا يمكن رؤيته، ولكن العلماء رأوا الدوامة المتشكلة حوله نتيجة ابتلاعه للنجم.

في قلب هذه المجرة التي تحوي أكثر من 100 مليار نجم هناك يوجد ثقب أسود هائل الوزن، يقوم بابتلاع كل ما يصادفه في طريقه خلال تحركه وجريانه في الفضاء بسرعات كبيرة. هذا الثقب ليس

الوحيد.. بل هناك ملايين، وربما مليارات منه تنتشر في أرجاء الكون الواسع.

إن الصدى الصادر عن عملية الابتلاع تم رصده من قبل علماء وكالة ناسا، حيث اكّدوا أن الثقب الأسود موجود، ويقوم باستهلاك الكثير من الكواكب والنجوم والغبار، كلها تشكل غذاء له!

لقد شاهد العلماء وبواسطة أحدث الأجهزة الكمبيوترية العملاقة عملية ابتلاع نجم من قبل ثقب أسود، كان الثقب الأسود في المركز وحوله دوامه تشبه الإعصار من الغاز حيث لا يصل النجم مباشرة لداخل الثقب، بل تتحول مادته إلى غاز أولاً بفعل الجاذبية الهائلة له ثم يبتلعه!

الثقب الأسود له وزن يبلغ مليارات وزن الشمس!! ومادة النجم المُبتلَع تشكل وقوداً له كي يقوم بتنظيف الكون، وهو يعتبر بمثابة مقبرة كونية عملاقة!

لقد كان ضمن المقالة التي قرأتها صورة لنجم قال عنه الكاتب انه نجم في نهاية حياته، ويبعد عنا 4200 سنة ضوئية.

استأنفتُ مطالعة المقالة لأرى ما الذي تعنيه هذه الألوان الزاهية المتعددة في الصورة، فرأيتُ الكاتب وكأنه قد علم بحيرة قارئه، اذ كتب يقول:

هذه هي نهاية النجوم، تظهر بألوان زاهية، حيث تبلغ درجة حرارة سطحه 50000 درجة

مئوية، وتظهر هذه الألوان نتيجة الغازات المتدفقة من انهيار النجم، وتختلف أطوال موجاتها الصادرة من الضوء الناتج منها حسب طبيعتها وتركيبها.

اذن مجرتنا يقبع فيها عدد من المقابر الكونية، وهي ضرورية لاستمرار هذه المجرة وبقائها على قيد الحياة، فالموت في عالم النجوم ضروري ولا يقل أهمية عن الحياة!

اما بالنسبة الى الشمس فيقول العلماء انها عندما تموت لن تتحول إلى ثقب أسود لأن كتلتها لا تكفي لذلك، إنما ستتكور على نفسها، ويخبو ضوؤها، وتتحول لعملاق أحمر بحيث تبلغ حدودها مدار القمر، وربما سوف تبتلعه!

وسبحان الله هذه الاكتشافات تتضمن عدداً من الحقائق العلمية التي تتجلى أمامنا اليوم، ولكن هذه الحقائق أشار إليها القرآن قبل 14 قرناً، ولكيلا تتشتت أفكاري مسكتُ القلم والورقة لأكتب خلاصة ما توصلتُ اليه:

أولا: حقيقة سقوط نجم في أعماق ثقب أسود أشار إليها القرآن بقوله تعالى **(وَ النَّجْمِ إِذَا هَوَى)**[1]، وكلمة هوى بمعنى سقط وهوى باتجاه جسم آخر.

ثانيا: الثقوب السوداء هي مقابر كونية تكنس وتنظف الكون بسبب جاذبيتها الفائقة، وهذه

---

[1] * سورة النجم / 1

الجاذبية لا تسمح حتى للضوء بمغادرتها، وبالتالي فهي مختفية لا تُرى أبداً، وهذه النجوم أشار إليها القرآن الكريم بقوله (فَلَا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوَارِ الْكُنَّسِ)[1].

ثالثا: حقيقة موت الشمس وتكويرها وانخفاض ضوئها أشار إليها القرآن بقوله تعالى: (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ)[2]. كما ان القرآن الكريم أيضا أشار الى اجتماع الشمس والقمر في وقت من الأوقات بقوله تعالى في الآية 9 من سورة القيامة

---

[1] * سورة التكوير / 15-16

[2] * سورة التكوير / 1

(وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ)[1] وهو ما يتوقعه اليوم علماء العصر الحديث.

ولا نملك إلا أن نقول: سبحان الله! كلما اكتشف العلم حقيقة كونية رأينا إشارة بينة لها في كتاب الله تعالى، وهذا يدل على أنه لا تناقض بين العلم والقرآن.

قاربت الساعة الواحدة بعد منتصف الليل، واشتد صوت هطول المطر فخشيت ان تستيقظ سما ولا اسمع صراخها، لذا هممتُ بالذهاب الى غرفتها، يا إلهي اسمع صوت طرقات باب المسجد! في هذا الليل! ترى من يكون؟!

---

[1] * سورة القيامة/9

ترددتُ في فتح الباب وانتظرتُ قليلا ولكنه لم ينقطع. خشيتُ ان يكون عابر سبيل ليس له مأوى في هذا الليل الممطر البارد وقد لاذ بأقرب مسجد اليه، اذن من الواجب عليّ ان افتح الباب اليه.

اسرعتُ وفتحتُ الباب وإذا بامرأة قد غطت وجهها فلم أرى منها الا قطعة من سواد! قلتُ لها من انت وماذا تريدين؟ قالتْ بعد ان اعطتني قرص سي دي ملفوف بقطعة من الورق:

. افتح هذا القرص وسوف تجد فيه الكثير.

لم تدع لي أي فرصة للسؤال منها من تكون، اذ اختفت سريعا عن الأنظار بعد ما غادرتني واختلط سوادها مع سواد الليل المظلم.

عدتُ الى غرفة الإدارة في المسجد لأشاهد محتوى القرص في الحاسبة، وكانت المفاجئة الكبرى! نعم، مفاجئة كبرى! كان يحوي على فيلم مصوّر للحادث الذي أصاب والدتي، لم يكن واضحا كثيرا لأنه تم تصويره ليلا وسريعا، وكما يبدو انه من كاميرة هاتف نقال، ويظهر في الفيلم ان الشارع كان خاليا والليل مظلما ولا يوجد هناك أي شخص في وقت الحادث حينما حدث.

بعد لحظة الحادث يترك المصوّر المصدوم ويركز في تصويره على رقم السيارة الصادمة من الخلف ويكبر في عدسته حتى يلتقط رقمها.

أوقفتُ الفيلم الذي لم يكن يتجاوز وقته الثلاثين ثانية وسجلتُ الرقم على ورقة.

تساؤلات كثيرة خطرت في الذهن: من تكون هذه المرأة؟ وما تلك المصادفة التي جعلتها في تلك اللحظة تصوّر الحادث؟ وكيف عرفتْ عنواني ومسكني وعلاقتي بالمصدوم؟!

لم اسمح لنفسي بتأجيل الموضوع ليوم غد، وبرغم الإرهاق والنعاس الذي خيّم على كل بدني عدتُ وجلستُ ابحث في مواقع الانترنيت عن مالك تلك السيارة، ولم اقم من مقامي حتى وجدته. نعم وجدته، وقد كان اسمه عادل سامي عبد الرحمن وهو عين اسم (ابو قاسم) الذي كان سبب اعدام

والدي ظلما، وكان سبب كل هذا الفقر والبلاء الذي اصابنا، البلاء الذي كان آخره وفاة والدتي.

احترق قلبي الما على فراق أمي وأبي، ليته كان فراق سفر يبرده امل العودة وتجديد اللقاء، ولكنه فراق أبدي لا عودة بعده، ولا لقاء انتظره الا لقاء الآخرة.

استوقدتْ لدي نار الانتقام ولم تخمد الا بعد ان جلستُ وفكرتُ بعقلي، وقررتُ ان لا أخطأ كما أخطأت والدتي، ومن ناحية أخرى علي ان احافظ على أختي التي ليس لها شخص آخر غيري، لذا قررتُ تأجيل الموضوع حتى صباح يوم غد فلعل

الله يفتح لي بابا من أبواب رحمته، ويهديني الى ما يمكن فعله.

الساعة الثانية بعد منتصف الليل، وقبل الاستلقاء للنوم القيتُ نظرة على سما وهي نائمة على الأرض تتقلب يمينا ويسارا فتذكرتُ والدتي التي كثيرا ما كنتُ اجدها في مثل هذا الوقت جالسة بجنبها وتضع قطعة قماش مبللة على جبهتها بين الحين والآخر، بل وأحيانا تبقى تبكي حتى صلاة الصبح على حالها.

الزمتُ نفسي بعد صلاة الصبح من كل يوم على قراءة صفحتين من القرآن الكريم، فكان نصيب هذا الصباح سورة التكوير، ولا اعلم هل كان ذلك

من باب الصدفة ام هو تدبير إلهي مسبق: (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ*وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ*أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ*بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ.)[1]

توقفتُ عن التلاوة، أظن ان في هذه الآية اعجاز لم ادوّنه في كتابي المُرتقب، نعم، لماذا قال الله تعالى (بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ)، حتما انه إشارة الى بصمة الانسان التي لم تُكتشف حسب علمي الا في القرن التاسع عشر.

البنان جزء صغير من تكوين الإنسان، لا يدل بالضرورة على القدرة على إحياء العظام وجمعها وهي رميم، لأن القدرة على خلق الجزء لا تستلزم

---

[1] * سورة القيامة / 1-4

بالضرورة القدرة على خلق الكل. اذن هنا مطلب مهم يريد الله تعالى الإشارة اليه.

اعتقد انها اشارة الى بصمات الانسان التي لا تتشابه بين البشرية، نعم، تذكرتُ ان ابي قد أعدم اعتمادا على تقرير مزوّر للبصمات اصطنعه (أبو قاسم) عن طريق الرشوة، نعم، لماذا لا اعيد فتح هذا الملف وأثبت من جديد ان قاتل جيراننا هو (أبو قاسم) وليس أبي، اذن لابد ان ابحث هذا اليوم عن هذا الموضوع بكل تفاصيله لأعلم كيف استفيد منه.

بدأتُ البحث والكتابة عن موضوع اعجاز هذه الآية وعن البصمات ومدى إمكانية الاستفادة منها

في كشف المجرمين، وقضيتُ اليوم كله بين البحث والكتابة وبين المُدارات لسما وتأمين احتياجاتها بين الحين والآخر، فكان ما توصلتُ اليه من نتائج وما دونته ضمن مطالب الكتاب ما يلي:

أولا استخرجتُ معنى كلمة البنان من القواميس فكانت معناها رؤوس الأصابع كما في لسان العرب: حيث يقول ان البنان هو أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، والبنانة: الإصبع كلها.

ولكي اتيقن ان موضوع بصمة الأصابع لم تكن معروفة وقت نزول القرآن بدأتُ في البحث عن تاريخ اكتشافها فوجدتُ ما يلي:

في عام 1823 اكتشف عالم التشريح التشيكي (بركنجي) حقيقة البصمات، ووجد أن الخطوط الدقيقة الموجودة في رؤوس الأصابع تختلف من شخص لآخر، ووجد ثلاثة أنواع من هذه الخطوط: أقواس ودوائر وعقد و على شكل رابع يدعى المركبات، لتركيبها من أشكال متعددة، وفي عام 1858 أي بعد 35 عاماً، أشار العالم الإنكليزي (وليم هرشل) إلى اختلاف البصمات باختلاف أصحابها، مما جعلها دليلاً مميزاً لكل شخص.

وفي عام 1877 اخترع الدكتور (هنري فولدز) طريقة وضع البصمة على الورق باستخدام حبر المطابع، وفي عام 1892 أثبت الدكتور (فرانسيس

غالتون) أن صورة البصمة لأي إصبع تعيش مع صاحبها طوال حياته؛ فلا تتغير رغم كل الطوارئ التي قد تصيبه، وأثبت (غالتون) أنه لا يوجد شخصان في العالم كله لهما نفس التعرجات الدقيقة، وقد أكد أن هذه التعرّجات تظهر على أصابع الجنين وهو في بطن أمه عندما يكون عمره بين 100 و 120 يوماً.

وفي عام 1893 أسس (إدوارد هنري) نظاماً سهلاً لتصنيف وتجميع البصمات، واعتبر أن أصابع اليدين العشرة هي وحدة كاملة في تصنيف هوية الشخص، كما أدخلت في نفس العام البصمات كدليل قوي في دوائر الشرطة في اسكتلند

يارد. ثم أخذ العلماء منذ اكتشاف البصمات بإجراء دراسات على أعداد كبيرة من الناس من مختلف الأجناس فلم يعثر على بصمة متشابه في شخصين.

اذن الى هنا تيقنتُ ان موضوع بصمة الأصابع لم تُكتشف الا في القرن التاسع عشر، في حين ان القرآن أقسم بها. اذن هي معجزة تضاف الى معجزاته التي دونتها حتى الآن.

الأغرب من ذلك انني حينما تعمقتُ أكثر في هذا الموضوع علمتُ انه حتى لو ان شخصا ازيل منه جلد أصابعه ثم عاد والتئم مرة أخرى فأن نفس تعرجات اصابعه تعود له أيضا بالتمام والدقة التي

كانت عليه، وأيضا علمتُ ان بصمات أي انسان لا تشبهها بصمات أي انسان آخر سواءً كان من الأحياء في عصره ام من الأموات في العصور السابقة المندثرة!

اذن الأمر يستحق القسم عليه من الله تعالى في قوله (لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ*وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ*أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَلَّن نَجْمَعَ عِظَامَهُ*بِلَى قَادِرِينَ عَلَى أَن نُّسَوِّيَ بَنَانَهُ.)[1].

بعد هذا البحث قررتُ وبصورة قاطعة استخدام بصمة الأصابع في اثبات براءة أبي، وإعادة جميع اموالنا وبيتنا ممن صادرها وسرقها.

---

[1] * سورة القيامة / 1-4

مهمة صعبة جدا، لكنها تستحق السعي وبذل الجهد والوقت لأجلها... كيف ابدأ، وبمن استعين؟

توجهتُ هذه المرة الى الله، نعم، الم تقل والدتي ان الله ارحم من الأم بولدها. كانت والدتي كلما ضاقت بها الدنيا وتكالبت عليها المصائب اراها تتوجه الى الله وتدعوه، فتنفرج الأمور وتُزال من امامها الصخور، فلماذا انا مع كل ابحاثي ودراستي عن معاجز القرآن واثبات وجود الله لم أصل الى منزلتها؟

قررتُ التوجه الى الله وترك كل الآمال التي علقتها بغيره، نعم هذه المرة اريد التوجه بقلبي اليه

واطلب حاجتي منه لا من أحد سواه، فقلتُ له:

ربي..

ربي بحثتُ عنك فوجدتك قد تجليتَ في آياتك، وعلمتُ منها انك عظيم وقادر بلا حد ولا حدود، فمن يخلق السماوات وما فيها كيف يكون عاجزا على امر صغير كشفاء اختي، ربي هذه المرة قطعتُ املي من كل أحد سواك، من الدكتور سمير وامثاله وأريد شفائها منك.

قمتُ من مقامي بعد ان سلّمتُ ملف سما اليه، واحسستُ وكأن ثقلا كان على ظهري قد ازلته.

نهاية الفصل الخامس

الفصل السادس:

عودة للأصدقاء

قررتُ الذهاب الى مدينتنا الأولى التي كنا نعيش فيها لألتقي ببعض الأصدقاء هناك ممن كانت تربطني معهم رابطة وثيقة لا اظن انها تكدرت بسبب ما شاع عنا. انهم كانوا يثقون بي وبعائلتي كثيرا.

اوضحتُ الامر الى اختي سما، وطلبتُ منها عدم فتح باب الغرفة التي ترقد فيها لأي طارق مهما كان شخصه، واخبرتها أني سوف اعود لها قريبا. قلتُ لها:

_ عزيزتي سما، ان كل ما افعله من اجلك، وكل باب اطرقه انما هو لتامين مبلغ عمليتك.

بكت وسالت دموعها على خديها، وقالتْ:

. امي، ليتها كانت معي فتضمني الى صدرها وتغمرني بحنانها، ليت المرض اماتني قبلها...

ارتفع صوت بكائها وماذا عساي ان افعل لها غير تهدئتها وزرع أمل الشفاء لديها، فقلتُ لها:

. اوعدك يا عزيزتي ان الأمور لا تبقى كذلك، وانا ذاهب لأجل ذلك.

تركتها وانطلقتُ الى مدينتنا الأولى التي عشتُ فيها أحلى الأيام مع ابي وامي، ليتها تعود ولكن هيهات من ذلك. حينما وصلتُ توجهتُ الى صديق كان زميلا لي في الجامعة وكثيرا ما كان يحثني على الايمان بالله ويقول لي أني أرى فطرتك سليمة، وأتمنى ان اراك يوما وانت تؤمن بالله وتكون

داعيا اليه. لم يكن يتضجر مني ابدا رغم خلافي معه في العقيدة..

على كل حال طرقتُ بابه، وحينما رآني استغرب كثيرا وسألني عن حالي وحال من تبقى من عائلتي، فأخبرته بما حدث. تأثر كثيرا وابدى استعداده لمساعدتي، وقبل ان اطلب المساعدة منه قلتُ له:

_ هل تذكر يا مالك جدالي واختلافي معك في المسائل الدينية؟

. نعم، ولكني اساعدك وان كنتَ مختلفا معي في الرأي والعقيدة.

. لقد هداني ربي الى الصواب والحقيقة التي كنتَ تدعوني لها، نعم، اصبحتُ يا مالك أؤمن بالله بل ادعو اليه، وسيصدر لي كتابا ان شاء الله يختص بمعاجز الله في قرآنه.

استبشر كثيرا وكاد يطير فرحا. لاحظتُ بريق دموع عينيه حينما لم يتمالك نفسه وعانقني، وقال:

. كنتُ أتمنى هذا اليوم من اول يوم عرفتك، كنتُ اشعر بأن هناك ما يجذبني اليك رغم مخالفتك لي.

طال جلوسنا في بيته، وقصصتُ له كل ما جرى لنا في هذه المدة، وكان من ضمن ما قلته له:

.لقد عزمتُ وبإصرار على ان اثبت براءة والدي وباي ثمن كان، فقال:

. وهل تظن أنك تستطيع ذلك، وما ذا عن (أبو قاسم) الذي تقول عنه ان قلبه أصبح من القساوة ما لا يمكن التفاوض معه باي حال من الأحوال.

. نعم هو كذلك، انا اعتقد ان قلبه أصبح قاسيا اسودا لا نور فيه، وقد بحثتُ عن موضوع قساوة القلب وكتبتُ عنه في كتابي بسببه.

. انت قلتَ ان كتابك يبحث موضوع اعجاز القرآن، فما علاقة قساوة قلب (أبو قاسم) بهذا الموضوع؟!

. كنتُ أتساءل مع نفسي هل لهذا الحد يصل الاجرام وقساوة القلب لدى الانسان؟ يقتل جاره ثم يعدم جاره الآخر ويفقر عائلته ويسرق أموالهم، ثم يقتل اعز انسان لي في هذه الدنيا، امي..

لم اتمالك نفسي فأخذتني العبرة والبكاء، ولاحظتُ بريق الدمع على مالك أيضا..

. على كل حال، تساءلتُ مع نفسي: القلب ليس الا مضخة لدفع الدم الى جميع انحاء الجسم، فلِم يقول الله تعالى في كتابه عن بني اسرائيل انهم قد قست قلوبهم (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً..)[1] ؟ ولماذا يربط التفقه

---

1 * سورة البقرة / 74

والادراك بالقلب أيضا حينما يقول:(لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا)[1]؟ ولماذا يربط التعقل بالقلب أيضا، ولماذا يجعل القلب مركز البصيرة لدى الانسان حينما يقول (أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِن تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ)[2]؟

ليس هذا فقط يا مالك، بل القرآن يذكر أيضا ان القلب هو مخزن المعلومات وذلك في قوله

---

1 * سورة الأعراف / 179

2 * سورة الحج / 46

تعالى (.. يَقُولُونَ بِأَفْوَاهِهِم مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ وَاللّهُ أَعْلَمُ بِمَا يَكْتُمُونَ)[1]

دهش مالك كثيرا من كلامي، وكأنه لم يفكّر بهذا الامر من قبل، فقال:

. عجيب أهذا كله في القرآن؟

. نعم، ذكر القرآن القلب في أكثر من 100 مورد، وفي كلها يعطي القلب دورا هاما في الايمان والكفر والتعقل والادراك.

. لا أتذكر اننا درسنا في كتاب الاحياء ان القلب له هذه الوظائف، بل درسنا ان القلب يتكون من أربعة حجرات، وله بطين ايمن وأيسر، ويقوم

---

[1] * سورة ال عمران / 167

بضخ الدم بعد تنقيته الى ما يقارب 322 مليار خلية في جسم الانسان بواسطة انقباضه وانبساطه والتي نحسها بشكل نبضات نسميها نبضات القلب. أتذكر أيضا ان استاذنا كان يقول ان طول شبكة الاوعية والشرايين التي تنقل الدم من والى القلب لو ربطت مع بعضها لكان طولها ما يقارب الـ (100,000) كيلومتر!

. هذا صحيح يا مالك، ان علماء عصرنا لم يتوصلوا الى علاقة القلب بهذه الوظائف التي ذكرها القرآن الا في السنوات الأخيرة، ومن المعاهد المهمة التي لها سنوات طويلة في البحث والدراسة عن القلب هو معهد رياضيات القلب الأمريكي

الذي أعلن في السنوات الأخيرة ان القلب يحتوي على أكثر من ٤٠ ألف خلية عصبية معقدة اسموها دماغ القلب، وهذه الخلايا تصدر ترددات واوامر الى الدماغ، ولها دور مهم في العواطف والأحاسيس والإدراك والتعلم، وأن لها مجالا كهربيا أقوى من المخ بكثير.

. احمد، هل صحيح ما تقوله، ان ما تقوله اسمعه للمرة الأولى؟

. نعم، يمكنك البحث في الانترنيت عن هذا المعهد او غيره ومطالعة ما يقولونه بهذا الشأن. يمكنك البحث عن البروفسور (Gary Schwart) الذي وثق عشرات الحالات التي تثبت أن للقلب دورا

كبيراً في التحكم بشخصية الإنسان وأفعاله وذكرياته، بل إن القلب هو الذي يحدد مستوى الإيمان أو الكفر لدى الإنسان!

. ولكني اسمع حاليا عن زراعة قلب انسان ميت في جوف انسان حي، فكيف يتم ذلك؟ أعني من المفروض في حالة تبديل قلب أي انسان بقلب آخر ان تتغير طباعه ومعتقداته طبقا للقلب الجديد الذي زُرع فيه.

. نعم، وهذا ما يحدث تماما، وقد طالعتُ قصصا واقعية عديدة عن هذا الموضوع تثبت دور القلب في معتقدات الانسان وطباعه.

شعر مالك ان سؤاله كان في محله، فازداد تفاعلا مع الموضوع، وقال:

. اذن ارجوك أخبرني بما طالعته.

. قام الدكتور (Kary) ببحث ضم أكثر من 300 حالة زراعة قلب، ووجد بأنه في جميعها حدثت تغيرات نفسية جذرية في المريض الذي زُرع له قلب جديد.

ومن القصص الواقعية التي قرأتها عن هذا الموضوع ان امرأة تزوجت من شاب، وبعد سنوات من زواجهما وبسبب الحاد الشاب أراد ان يتخلص من حياته فانتحر بمسدس في رأسه فمات، ولكن قلبه بقي يعمل فقام الأطباء باستئصاله وزراعته

لمريض آخر كان مؤمنا يحب فعل الخير ، فانقلب من الايمان الى الالحاد فجأة، والعجيب انه انتحر أيضا بنفس الطريقة التي انتحر بها الشاب صاحب القلب الأصلي!

كان مالك يحاول السؤال عن كل ما يرد في ذهنه عن هذا الموضوع، وقد وجدها فرصة سانحة حينما رآني ملما به، فقال:

. اذن قل لي ماذا عن الذين يتم زراعة قلب صناعي لهم، كيف سيكون احساسهم وايمانهم؟

. نعم، انا اجيبك، في احد الموارد سألوا صاحب القلب الصناعي عن مشاعره وخوفه، فتبين انه لم يعد يخاف او يتأثر او يهتم بشيء من أمور

المستقبل، وطبعا هذا عين ما ذكره القرآن بان مكان الخوف هو القلب وذلك في الآية 2 من سورة الانفال **(إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَاناً وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ)**[1].

والخلاصة انه ثبت للباحثين في موضوع تأثير القلب الصناعي على الانسان ان الذين يتم زراعة قلب صناعي لهم يفقدون مشاعر العاطفة والحب حتى لأسرهم...

تبسم مالك، وقال:

. اذن افهم من كلامك هذا ان كل الآيات التي ذكرت القلب ودوره انما هي اعجاز قرآني لم يتم

[1] * سورة الانفال/ 2

اثباته الا في القرن الواحد والعشرين، وبعد البحث والدراسة والتجارب التي كلفت الأطباء والعلماء ملايين الدولارات.

كنتُ أحب التحدث والمناقشة مع الآخرين بكل ما بحثته وكتبته، لذلك لم اشعر بالوقت الذي مضى، ونسيتُ السبب الذي اتى بي الى هنا. قلتُ لمالك:

. ارجع بنا الى أصل الموضوع الذي اتيتُ من اجله.

كان من اهم ما توصلتُ اليه مع مالك هو الاتصال بأحد أصدقائه من المحامين واستشارته في كيفية نفي التهمة عن والدي وإعادة اموالنا.

قبل الفراق والوداع مع مالك اردتُ طلب مساعدته المالية لنجاة سما من مرضها، ولكن حيائي منه لم يسعفني، وكلما اردتُ النطق لم أتمكن حتى فارقته.

بعد يومين من هذا اللقاء تمكنا من الاجتماع بالمحامي وشرحتُ له الأمور والاحداث كاملة وكما هي، واتفقنا معه على خطة لابد من تنفيذها بصورة دقيقة وسرية تامة، كما انه وافق على استحصال اجرته من الأموال العائدة الينا بعد كسب القضية.

في هذا اليوم وبعد عودتي الى السكن لم أجد سما في الغرفة! أمر عجيب! بحثتُ عنها وناديتها

في كل جزء من أجزاء المسجد الذي نسكن فيه دون ان اسمع أي جواب. يا ألهي ما الذي حدث؟!

سما لا تخرج وحدها، هي لا تستطيع حتى وان ارادتْ الخروج، ألهي ما الذي افعله؟ اين ابحث عنها؟ أي مكروه أصابها؟

خرجتُ الى الشارع هائما فيه، هل اذهب يمينا ام يسارا، الى المستشفى ام الى مركز الشرطة، الى من؟

سمعتُ نداءً من خلفي يقول احمد، احمد. التفتُ اليه وإذا بها زوجة الأستاذ مناف تسألني عن المستشفى الذي نقلوا سما اليه!

.ومن نقلها للمستشفى، ومتى، ماذا حدث لها؟

. لم تكن انت حاضرا يا احمد، لقد اتى الدكتور سمير يلتمس متولي المسجد ان يسمح له بنقل سما فورا الى المستشفى لأجراء العملية لها هناك! لقد أكد له ان جميع أجور المستشفى والعملية سوف يتحملها هو.

. هو؟ يعني من؟ لا أفهم ما تقولين!

. بالطبع الدكتور سمير.

. الدكتور سمير؟! وما الذي أصابه ودهاه حتى يفعل مثل هذا الفعل، لا اصدق، لا اسمح له، انه يريد الانتقام مني ليس إلا.

تركتها وتوجهتُ فورا الى عيادة الدكتور سمير فاستقبلني نفس الشخص الذي اتى ذات مرة خلفي يراقبني حتى محل سكني، فقام لي، وقال:

لقد اتى الدكتور بنفسه الى محل سكنك ولكنك لم تكن حاضرا، فأخذ الاذن من متولي المسجد الذي تسكن فيه ونقل اختك الى المستشفى العام الذي سوف يحضر فيه بعد ساعة افضل فريق اطباء من لندن لأجراء الفحوصات والعمليات الخاصة للمرضى.

لم اصدقه أيضا، وبدون اذن منه توجهتُ الى غرفة الدكتور وفتحتُ بابها فكانت خالية لا أحد فيها، لذا عدتُ اليه وصرختُ في وجهه:

. اين رئيسك؟

. ذهب برفقة اختك الى المستشفى العام.

بصعوبة بالغة تمكنتُ من دخول المستشفى العام، وبعد السؤال من هنا وهناك ومن الداخل والخارج تمكنتُ من ملاقاة الدكتور سمير، وحين رؤيته صرختُ في وجهه، وقلتُ له:

. اتركنا وحالنا، ما الذي تريده منا؟

قاطعني، وقال:

. لقد أجرى الأطباء كامل الفحوصات اللازمة عليها، وهي الآن في صالة العمليات بانتظار نوبتها.

. اين هي اريد رؤيتها حالا.

اخذ الدكتور سمير بيدي وقادني الى صالة العمليات فرأيتُ سما من خلف زجاج الصالة وقد اجتمع حولها الأطباء! نعم، رأيتها بعيني فاطمئن قلبي، وهدأ روعي، ولكني لم افهم حتى الآن ما الذي حدث؟!

التفتُ الى الدكتور سمير وقلتُ له:

. بالله عليك، قل لي ما الذي حدث؟ أرى تفاوتا كبيرا بين موقفك الأول معي وبين ما اراه الآن!

قال:

. في نفس اليوم الذي اتيتني به الى العيادة وطلبتَ مني المساعدة في اجراء العملية لأختك وانا رفضتُ ذلك، عدتُ الى المنزل ليلا فوجدتُ ابنتي

تصرخ الما، وحين اجريتُ الفحوصات لها تبين انها تحمل الغدة ذاتها التي كانت اختك تحملها وبنفس المواصفات. تذكرتُ حينها موقفي معك فما باليتُ واتصلتُ فورا بشخص في فرنسا ليحجز لي مكانا في أفضل وأغلى مستشفياتها بعدما ارسلتُ له نسخة من الاشعة والتحاليل التي اجريتها لها، وحين إتمام الحجز طرنا الى هناك وانا على اطمئنان كامل بالإمكانيات المتوفرة في ذلك المستشفى وسهولة اجراء العملية لها.

مضى شهر عن اجراء العملية لها ولم تتحسن حالتها حتى الآن، وفي كل مرة تتبين لنا أمورا ليست بالحسبان ابدا.

كنتُ اصغي له، وحينما توقف عن الكلام قلتُ له:

.والآن هل تيقنتَ ان سبب ذلك كله هو تعاملك السيء معي، ورفضك اجراء العملية لأختي حتى بعد تعهدي لك بدفع مبلغها بالآجل؟

.بالطبع ليس بتلك السهولة حتى رأيتك البارحة في المنام واقفا امام باب صالة العمليات، وحين اتيتُ بسرير ابنتي مسرعا بها منعتني من الدخول للصالة، واشرتَ بيدك الى سرير مريض كان بجنبك، وقلتَ لي يجب ان يدخل هذا السرير قبلك.

حين استيقظتُ من النوم فكرتُ مع نفسي، وقلتُ لماذا لم أتوجه الى هذه المسألة من قبل؟

لماذا احرقتُ الملايين من الدنانير في شهر من المماطلة دون أي جدوى؟ قررتُ حينها الذهاب اليك وطلب السماح منك على اجراء عملية أختك بأسرع وقت ممكن.

كنتُ متحيرا في تكاليف اجراء العملية، واردتُ استنطاقه هل سيتكفل هو بها ام ماذا، فقلتُ له:

. وماذا عن مبلغها، ليس لدي الآن مصاريف يومنا فكيف بعملية كهذه؟

. جميع المصاريف سوف اتحمّلها انا.

شكرته على ذلك، وأحسستُ بالاطمئنان حينها على سما وخصوصا بعدما تذكرتُ أني سلمتُ

أمرها وملفها الى رب العالمين، اذن لا مبرر للخوف والقلق عليها.

بعد اجراء العملية لسما ونجاحها، نقلتها الى محل سكننا الذي لازال في غرفة من المسجد، وقررتُ المكث معها لمداراتها حتى تشفى وتتمكن من القيام بنفسها.

لم يبق الا تسعة أيام عن موعد تسليم الكتاب، لذا كان علي تدارك الوقت وبذل الجهد من اجل التمكن من تسليمه في الموعد المقرر.

قررتُ عدم الخروج من المنزل خلال هذه الأيام واستثمار الوقت فيها بين مدارات سما واعداد الغذاء لي ولها، وبين البحث والكتابة عن موضوع

الاعجاز العددي في القرآن الذي كنتُ انتظر الفرصة المناسبة للبحث عنه وخصوصا بعدما حصلتُ على برنامج كمبيوتري لإحصاء آيات وكلمات وحروف القرآن. لقد اعانني هذا البرنامج كثيرا في الحصول على نتائج مذهلة جديدة، او في اثبات النتائج التي اكتشفها غيري وتم نشرها كفيديوهات او مقالات عبر شبكة الانترنيت.

في الأيام الأولى كتبتُ الشيء القليل لانشغالي بالمدارات لسما، ولكن حينما تحسنتْ صحتها شيئا فشيئا حاولتُ اشراكها وهي نائمة بالمواضيع التي اكتبها، واحسستُ حينها بسعادة وجودها معي، وذات مرة قلتُ لها:

. عجيب هذا التناسق في الأرقام!

استغربتْ سما من كلامي الموجه لها، وقالتْ:

. إنك تكتب عن معاجز القرآن فما علاقة هذا بذاك! هل لديك بحث رياضيات؟

. نعم لدي بحث عن رياضيات القرآن، سبحان الله! لا يمكن ان يكون هذا صدفة!!

. ماذا يا احمد، قل لي بالله عليك، هل وجدت شيئا جديدا، أخبرني به.

. افتحي القرآن الذي بجنبك وأخبريني عن رقم سورة النمل.

تناولت سما القرآن الذي كان بجنبها، وبعد ما فتحته قالت:

. رقم سورة النمل 27.

. حسنا، وباي كلمة تبدأ السورة؟

تمعنتْ فيها وقالت:

. انها تبدأ بالحروف المقطعة التي لا اعلم معناها، انها تبدأ بـ (طس).

. من العجيب يا سما ان هذا البرنامج الذي يعد آيات وكلمات وحروف القرآن يقول ان عدد تكرار اول حرف في السورة يعني حرف الطاء هو 27 مرة، وهو نفس رقم السورة!

. عجيب، ما هذه المصادفة!

. لو كان هذا فقط لقبلتُ كلامك بانه مصادفة عشوائية، ولكن انظري الى الحرف الثاني من الحروف المقطعة ما هو؟

. حرف السين.

. لقد تكرر 93 مرة!

. وماذا يعني هذا الرقم؟

. اذهبي الى اخر السورة وانظري الى رقم اخر اية فيها.

لم يطل كثيرا تقليبها لصفحات القرآن حتى قالتْ:

. انه الرقم 93، الله أكبر ! يعني ان حرف الطاء تكرر بمقدار تسلسل السورة وحرف السين بعدد آيات السورة!!

. والآن اقرئي هذه الآية ماذا تقول.

لاحظتُ الدهشة على ملامح وجهها حينما كانت تتلو الآية 93 من السورة **(وَ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَعْرِفُونَهَا وَ مَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)**[1]

لم تنتهي سما من تلاوة الآية حتى قالتْ: الحمد لله، لقد رأيتُ وعرفتُ آيتك هذه يارب.

. ليس هذا فقط يا سما، اجمعي رقم السورة مع عدد آياتها، ماذا يخرج لك؟

---

[1] * سورة النمل/93

. 27+93 يساوي 120، نعم يساوي 120، وماذا يعني هذا الرقم؟

. من العجيب ان هذا الرقم هو جمَّل كلمة (نمل)!

لم تبدو عليها الدهشة مما قلته، فعلمتُ من ذلك انها لم تكن تعرف ماذا تعنيه جمَّل كلمة نمل، لذا قلتُ لها:

. ان جمَّل أي كلمة يعني ان نعطي كل حرف من حروفها قيمته العددية حسب حروف ابجد هوز ثم نجمع هذه القيم ليخرج لنا رقما يسمى جمَّل الكلمة.

. اذكر لي مثالا اطبّقه.

. مثالنا حاضر بين أيدينا، كلمة نمل مثلا، حرف النون قيمته العددية 50 وحرف الميم 40 وحرف اللام 30، اجمعي الآن وانظري ماذا يخرج لك.

. 50+40+30 يساوي 120، نعم يساوي 120.

. وهو نفس حاصل جمع رقم سورة النمل مع عدد آياتها. اليس كذلك؟

الآن وبعد ان علمت سما معنى ما أقول ظهرت ملامح الدهشة على وجهها، وقالتْ:

. الله أكبر، امر عجيب لا يمكن ان يكون كل ذلك مصادفة.

. عزيزتي سما، هذه فقط واحدة من مئات العجائب الرقمية التي وجدتها في القرآن والتي لا يمكن باي حال من الأحوال ان تكون من صنع البشر.

ارادت سما الجلوس لتستمع الى معجزات عددية أخرى للقرآن ولكن حالها لم يساعدها فبقيت مستلقية على الأرض، ثم قالتْ:

. قلتَ هناك مئات من المعجزات الرقمية الأخرى في القرآن؟

. نعم.

. اذن أَسمع منك الثانية.

. اختار لك الثانية في سورة الحديد، افتحي القرآن وأخبريني عن رقم سورة الحديد.

تناولتْ القرآن وهي على فراشها وفتحته ثم قالتْ:

. رقم السورة 57.

. والآن اسألكِ سؤالا في الكيمياء، فهل انتِ حاضرة له؟

. اعلم يا احمد أني أحب كثيرا درس الكيمياء، وانا متفوقة فيه من بين الطالبات، ليتني اعود لمدرستي، لقد اشتقتُ اليها والى زميلاتي، هل تظن يا احمد اني سأعود لها؟

. بالتأكيد يا عزيزتي سوف تعودين لمدرستك وزميلاتك، اعدك بذلك.

. اذن قل ما هو السؤال الذي اردتَ مني الإجابة عليه؟

. هل تعلمين ما هو الفرق بين العدد الذري لأي عنصر وبين وزنه الذري؟

. نعم، العدد الذري للعنصر هو عدد البروتونات في نواة كل ذرة من ذرات ذلك العنصر، وبالطبع هو نفسه سيكون عدد الالكترونات لأنه دائما عدد البروتونات الموجبة يساوي عدد الالكترونات السالبة.

. حسنا، وما هو الوزن الذري للعنصر؟

. هو وزن نواة الذرة، أي حاصل جمع وزن البروتونات والنيترونات في تلك الذرة.

. وكم الوزن الذري للحديد؟

. حسبما درسنا في الكيمياء ان الوزن الذري للحديد الأكثر تواجدا على الأرض هو 56.

. اذن اسمعي يا سما، الوزن الذرِّي للحديد الشائع على الأرض هو 56، وعدده الذرِّي هو 26، ومجموعهما **82**، صحيح؟

. نعم، صحيح.

. سورة الحديد ترتيبها 57 والآية التي تتحدّث عن نزول الحديد رقمها 25، ومجموعهما **82** أيضا!

. ليس هذا فقط، بل جُمَّل كلمة الحديد أيضا يساوي 57.

. وكيف حسبتَ جُمّلها؟

. أقول لك القيم العددية لكل حرف من حروف كلمة الحديد، واجمعيها بنفسك، حرف الالف يساوي1، واللام يساوي 30، وحرف الحاء يساوي 8، والدال تساوي 4، وحرف الياء يساوي 10، فكم سيكون مجموعها في هذه الكلمة؟

فكرتْ قليلا لتجمع الأرقام، ولم تأخذ من الوقت الكثير حتى صاحتْ بصوت عالٍ: الله أكبر، 57 أيضا.

. بقي سؤال.

تبسمتْ سما، ويبدو انها فرحت كثيرا لتمكنها من الإجابة على جميع اسئلتي، فقالتْ:

. نعم، قل يا احمد، ارجو ان يكون في الكيمياء أيضا.

. هو كذلك، أولا أخبريني عن معنى نظائر أي عنصر ثم أخبريني عن عدد نظائر عنصر الحديد.

. يكون العنصر نظيرا لعنصر آخر عندما يساويه في عدد البروتونات أي في العدد الذري ولكنه يختلف عنه في عدد النيترونات، وحسب ما أتذكر فان للحديد 28 نظيرا في الطبيعة.

. صحيح، اذن يكون مجموع عنصر الحديد مع نظائره هو 29؟

. نعم.

. وهل تعلمين ماذا يعني العدد 29؟

. كلا.

. ان عدد آيات سورة الحديد هو 29!!

فتحت سما القرآن مرة أخرىK ونظرت الى آخر اية من سورة الحديد وإذا بها تندهش وتقول:

. اوه، صحيح يا احمد، ان عدد آياتها 29! سبحان الله!!

. والآن نأتي الى الآية التي ذكر فيها الحديد وهي الآية 25 من سورة الحديد ماذا تقول؟

نظرت سما الى صفحة القرآن مرة أخرى وهي تبحث عن تلك الآية، وحين وجدتها قالت:

. هل أقرأها لك؟

. نعم، لنسمع ماذا تقول.

لاحظتها تتمعن في الآية قبل قراءتها وكأنها تريد ان تسبقني في اكتشاف ما فيها من معجزة جديدة، ثم قرأتها **(لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ)**[1]

لم انطق بشيء، وانتظرتها لعلها تجد امرا غريبا في الآية، حينها تبسمت وقالتْ:

[1] * سورة الحديد / 25

. الآية فيها أمر غريب، لا أعلم لماذا قال الله تعالى أنزلنا الحديد! فهل هو مطر حتى يقول عنه ذلك؟ لا اعلم!

سبحان الله، انه نفس الأمر الذي اردتُها ان تكتشفه، قلتُ لها:

. ما اقوى فطنتك يا سما، هو عين الأمر الذي اردتك اكتشافه، قال الله تعالى بشأن المطر **(وَهُوَ الَّذِيَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ ...)**[1] فهل الحديد أيضا نزل من السماء كنزول المطر؟ نعم، دعاني هذا التساؤل الى البحث عن الموضوع فوجدتُ ما يلي: أن العنصر الأساسي الذي نشأ في بداية الخلق هو الهيدروجين

[1] * سورة الأنعام / 99

(وهو أخف العناصر في الطبيعة) ثم بدأت العناصر الأثقل بالتشكل نتيجة للاندماجات النووية والحرارة المرتفعة والطاقة الجبارة التي خلَّفها الانفجار الكبير.

وقد كان يُظن ســـابقاً أن الحديد الذي على الأرض نشـأ من تفاعلات تمت عليها، ولكن أحد الباحثين قاس كمية الطاقة اللازمة لتشـكل الحديد فوجدها كبيرة جداً، ومثل هذه الطاقة لا تتوفر إلا في النجوم الضـخمة (التي هي أضـخم بكثير من الشـمس). وقد قاده هذا الأمر إلى التصـريح بأن عنصـــر الحديد لا يمكن أن يتشـــكل داخل المجموعة الشـمسـية أو على الأرض، بل تشـكل

في الفضـــاء بدرجات حرارة وطاقة عالية جداً ثم قُذِف به إلى الأرض على شـــكل نيازك، أي نزل إلى الأرض!! وهذه هي الحقيقة التي ذكرها القرآن قبـل 1400 عـام في قولـه تعـالى: (.. وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ..)[1]

---

[1] * سورة الأنعام / 99

نهاية الفصل السادس

الفصل السابع:

الأيام الأخيرة

لم يبق غير عشـــرة أيام الى موعد تســـليم الكتاب، وكان شـغلي الشـاغل في هذه الأيام هو اتمامه وتهيئته بأحســن صــورة، الا ان الرياح في بعض الاحيان تأتي بما لا تشـتهي السـفن، نعم، اتصـــل بي مالك وطلب حضـــوري فورا، وكلما حاولتُ تأجيل الموضــوع الى أســبوع آخر رفض وقال:

ـــ ان احد اقربائي ينوي شراء بيت عن طريق مكتب (ابو قاسم)، وقد اتفقتُ معه على ان يطلب من (أبو قاســم) التوقيع على عقد البيع بالبصــمة وان لا يقبل بغيرها ..

قاطعته، وقلتُ له:

ـــــ احسنتَ، هذا الأمر لا يتطلب حضوري، فلماذا تصر عليه؟ اتم الأمر واحصل على بصمة منه كما اتفقنا، واما المرحلة التالية فاتركها بعد عشرة أيام من الآن.

ــ الأمر أخطر مما تتصور يا احمد، لقد علم (أبو قاسم) بمجيئك الى هنا وأنك تتابعه، ولابد من تغيير مكان سكنك فورا والا ستكون انت واختك في خطر.

تحيرتُ في اجابته، فالخطر حقيقي، وأختي أغلى من وجودي ونفسي، وعليّ ان لا ارتكب أي حماقة او تماهل في الامر يفقدني اختي كما فقدتُ والدتي من قبل. قلتُ لمالك:

ـــ وماذا علي فعله الآن؟ ارجوك ارشدني، لم اعد اتمكن حتى من التفكير، لا يمكن لي باي حال من الأحوال ان اترك اختي هنا وأأتي اليك او الى أي مكان آخر.

ـــ اذن اجمع وسائلك وكل ما لديك واستعد للسفر غدا..

قاطعته، وقلتُ له:

ـــ الى اين اسافر، ليس لدي أي مكان آخر، انت تعلم بحالي.

ـــ لا عليك سوف اهيئ لك مكانا في احدى القرى التي يتوطن بها اهل زوجتي، إني اراها

مناســــبة لك ولأختك الآن، كما انها بعيدة عن انظار (أبو قاسم) وملاحقته لك.

جاء الغد.. واحسستُ بحزن شديد حينما فارقتُ غرفة الســـكن في المســـجد والتي تعودنا عليها وخلَّفتُ فيها ذكريات لا تُنســى، نعم، تجلّتَ امامي ذكريات الماضي يوم دخلنا هذه الغرفة مع والدتي. كانت تملأ المكان بحنانها وتغذينا بعطفها، فلم نك نشـــعر بالعوز والفقر بســـبب وجودها، لقد أعطت حياتها من اجلنا ولو كان لديها شـيئا آخر أكبر من وجودها لأعطته لنا...

لا انسى ابدا تلك اللحظة التي سمعتُ فيه صوت اذان الفجر ينطلق من هذا المسجد وكأنه

كان يدعونا للقدوم اليه، نعم، تلك اللحظة التي جلستْ فيها والدتي على الارض ببدن منهك وقلب يحترق ألما في وسط الظلام والبرد القارص.. جلستْ ورفعت يديها الى السماء وقد شاهدتُ بوضوح دموعها الجارية على وجهها المصفر وهي تقول: الهي بحق من شهد لك بالربوبية من اول الدهر الى آخره نجّنا مما نحن فيه.

نعم، انجانا الله ببركة دعائها...

اجهشتْ سما بالبكاء حينما قلتُ لها: أتذكرين يا سما تلك الليلة التي كنا نسير مع أمّنا على أثر صوت اذان هذا المسجد ومن زقاق الى أخر حتى وصلنا اليه؟

على كل حال ودعتُ الأستاذ مناف وكل من له فضل علينا من الجيران، كما ان بعضا منهم وهبنا من المال والطعام مايعيننا في سفرنا الجديد..

التقيتُ مع مالك حسب الموعد الذي حدده لنا وذهب بنا الى قرية تبعد حدود الساعة والنصف بالسيارة عن مدينتنا. كان كل ما يشغلني في الطريق هو كيف سأتمكن من تكميل تأليف الكتاب الذي هو امنية والدتي قبل ان يكون امنيتي، بل أصبح الآن بالنسبة لي حياتي التي احببتها من أجله. لم أعد أفكر في المال الذي أتأمله من الفوز به، بل كل تفكيري كان في الاستمرار بهذا الطريق الذي سلكته.. نعم اصبحتُ احبُّ الحياة رغم

مشكلاتها وآلامها وفقد أعز شخص فيها، لأني أحس انها الفرصة الوحيدة التي تمكنني من الاستمرار في طريق كشف اسرار القرآن ومعجزاته وعرضها لأهل الدنيا الذين غفلوا عنها، وكل أملي ان يكون الفوز بهذا الكتاب نقطة إنطلاق لي، وأول خطوة أخطوها، اذن أنا في الأيام الأخيرة للوصول الى تلك النقطة..

التفتُ الى مالك، وقلتُ له:

. لم يبق لي غير أربعة أيام عن موعد تسليم الكتاب الذي تكلمتُ لك عنه، و..

. وماذا؟

. انت تعلم يا مالك ان جميع بحوثي وكتابتي عن هذا الموضوع لم تك ممكنة الا بجهاز الكمبيوتر الذي كان في غرفة إدارة المسجد.

. تبسم مالك، وقال:

. نعم، اعلم ذلك، وما المطلوب الآن؟

استغربتُ من بروده في كلامه، فأنا أتكلم بألم وحرقة، وهو يتكلم بهدوء وبرود وكأنه لا يعلم ما أريد. لم أجبه على سؤاله واكتفيتُ بنظرة عتاب اليه، ثم أعرضتُ عنه ووجهتُ بصري الى زجاجة السيارة التي بجنبي.

ضرب على كتفي فالتفتُ اليه وإذا بي اراه مبتسما، حينها قال:

. اعطيك انت واختك غرفتي الخاصة، ويتوفر فيها كل الذي تريده، فماذا تقول؟

. فيها كمبيوتر وانترنيت؟

. نعم.

كاد الفرح يطير ويحلق بي... لم اتمالك نفسي فأدمعت عيني واحسستُ بنعمة ربي وكأنه معي في كل لحظة ويسددني في كل خطوة.

تشكرتُ من مالك ولم اسأله عن مكان هذه الغرفة، اذ فوضتُ أمري الى الله وتركتُ باقي الأمور عليه سبحانه.

بعدما يقارب الساعة والنصف من السير في السيارة وصلنا الى القرية، وترجلنا فيها حتى وقفنا

امام بيت كان يتوسط بستان كبير وتتدلى عليه الأشجار من كل جانب. التفتَ لنا مالك، وقال:

. انه بيت اهل زوجتي.

لم نجبه بشيء، وطرق الباب حتى خرجت لنا امرأة ترتدي الملابس القروية، فاستقبلتنا بحفاوة وادخلتنا الى غرفة كبيرة يسمونها (الديوانية)، وما ان جلسنا فيها حتى امتلأت بالناس من الرجال والنساء والأطفال وانهالوا علينا بالترحيب والتقبيل، ثم جلسوا جميعا في الديوانية، وراحت اطباق الشاي والطعام تأتينا واحدا تلو الآخر!!

يبدو ان مالك قد قرأ ملامح التعب والإرهاق على وجوهنا، فهمس في أذن والد زوجته قائلا له:

. ان أحمد وأخته ضيوف عندنا، وهم متعبين، كما ان اخته لم يمضي على عمليتها الوقت الكثير، انهما بحاجة الى الراحة التامة.

يبدو انها فُرِجت عندما استأذن مالك من الجميع وقادنا الى غرفته التي أخبرنا بها من قبل، وحينما أراد مغادرتنا قال:

. لقد اخبرتهم ان لديك بحث مهم وبحاجة الى خلوة لبضعة أيام تتفرغ فيها للبحث والكتابة.

تشكرتُ منه كثيرا وقلتُ له:

. وانا اطلب منك ان لا تخبرني بأي شيء جديد يتعلق بقضية أخذ البصمة من (أبو قاسم) وما يتبعها من إجراءات حتى انتهي من تسليم الكتاب.

تبسم وقال:

. هذا عهد بيني وبينك.

كانت الدقائق والساعات التي تمر في هذه الأيام الأربعة ثمينة جدا لا تُقاس بأثمان، وكان وجود سما معي في الغرفة يمنحني الراحة والسرور وفي أحيانا كثيرة اشاركها في بحوثي التي كنتُ اكتبها.

ذات مرة دهشتُ كثيرا من النتائج التي توصلتُ اليها في سورة النحل، فالتفتُ الى سما وقلتُ لها:

. أمر عجيب ومدهش في سور النحل!

قالت وهي على فراشها:

. ماذا يا احمد، هل من جديد؟

. نعم، افتحي القرآن وسوف اخبرك.

. أي سورة واي آية؟

. افتحي القرآن عند سورة النحل، لقد وجدتُ بحثا عن النحل وحياته وكان ضمن هذا البحث ان عدد كروموسومات ذَكر النحل هو 16 كرموسوم فردي وانثى النحل هو 16 كروموسوم زوجي، وكما تعلمين ان الكروموسوم او ما يُسمى الشريط الوراثي هو الذي يحدد طبيعة خلق هذا الكائن وشكله ولونه وغرائزه وكل صفة فيه...

. اعلم ذلك، لقد درسناه في الأحياء، وما علاقته بسورة النحل؟

. اقرئي رقم السورة وأخبريني كم هو؟

نظرتْ الى صفحة السورة في القرآن، بعدها رفعت رأسها مستغربة وهي تقول:

. ستة عشر، رقم سورة النحل ستة عشر، سبحان الله!

. ليس هذا فقط يا سما، بل ان عدد آيات السورة هو 128 من مضاعفات الرقم 16! بل ان السورة كلها قائمة على الرقم 16 وتدل على ان خالق النحل هو نفسه منزل هذا القرآن العظيم.

. وكيف، وهل هناك شيء آخر؟

. نعم، اذهبي الى الآية 68 من السورة واقرأي ماذا تقول.

استخرجتْ الآية 68 ثم تلتها:

. ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ﴾[1].

. هذه هي الآية الوحيدة التي وردت فيها كلمة النحل، ولو احصيتِ عدد الحروف غير المكررة فيها لكان عددها 16، ولو احصيتِ تسلسل اخر حرف من كلمة النحل في الآية لكان 16.

كما أن رقم هذه الآية هو 68 وعدد كلماتها 13 كلمة، وحاصل ضرب 68 × 13 = 884، فهل تعلمين أن 884 هو ترتيب كلمة (النحل)، يعني لو أحصينا عدد الكلمات من بداية السورة الى حد كلمة النحل لكانت 884!

---

[1] * سورة النحل / 68

بعدما سمعتْ سما هذه الحقائق المدهشة، قالت:

. انا الآن انظر الى الآية التي بعد اية النحل اذ تقول (**ثُمَّ كُلِي مِن كُلِّ الثَّمَرَٰتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِن بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**)[1]. والسؤال لماذا ورد لفظ النحل في الآيات الكريمة مؤنثاً (اتَّخِذِي، كُلِي، فَاسْلُكِي، بُطُونِهَا، رَبِّكِ) بينما نحن نعلم في اللغة العربية ان كلمة النحل مذكر، حيث نقول هذا النحل وليس هذه النحل؟

[1] * سورة النحل / 69

.صحيح يا سما، وهذا إعجاز آخر للقرآن، فمن كان يعلم في وقتها بملكة النحل، وبالعاملات في خلية النحل، وان الثقل الأكبر في إدارة خلية النحل وصناعة العسل يقع على عاتق الإناث وليس الذكور، وهذا مما لم يُكتشف الا في العصر الحديث!

كانت الأيام الأربعة التي قضيتها في البحث والكتابة تعادل شهورا... لم اكن أرى النوم فيها الا ساعتين في اليوم والليلة، ولم أكن اخرج من الغرفة الا دقائق وأعود اليها، بل حتى وجبات الطعام كانت تأتينا الى الغرفة، وجلوسي على مائدة الطعام مع أختي سما كانت لا تخلو من الحديث والنقاش

بيننا عن القرآن ومعجزاته، اذ كان شغلنا الشاغل في تلك الفترة القصيرة هو علاقة القرآن بالعدد 19 الذي اشارت له الآية التي تقول **(عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ*وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ...)**[1].

في اليوم الثالث من استقراري مع هذه العائلة التي لم أر منهم الا التعامل الحسن والأخلاق العالية طرقتْ باب الغرفة والدة زوجة مالك كالعادة في وقت الغداء، وحينما فتحتُ الباب سلّمتْ علينا وقدّمت الطعام لنا، ولكني هذه المرة لاحظتُ

[1] * سورة المدثر/30-31

الاضطراب والشحوب على وجهها، وما أن قدمتُ يدي لاستلام الطعام منها حتى أجهشت بالبكاء وارتفع صوتها!

ما ان سمعها أولادها وبناتها حتى أسرعوا لها وحملوها الى غرفة أخرى، وحينها توسلتُ بأحد أولادها أن يخبرني بما حدث ولكني لم أحصل منه على جواب مقنع، وأحسستُ انه يحاول الفرار من السؤال بأجوبة بعيدة عن الموضوع!

اتصلتُ فورا بمالك لعله يعلم بما يجري ويحدث هنا، ولكن هاتفه كان مغلقا، وكلما عاودتُ الاتصال به كان مغلقا أيضا، حينها لم يهدأ لي

بال، واصبحتُ أعد الساعات والدقائق، حتى جاءت الليلة الأخيرة من موعد تسليم الكتاب.

ظاهر الأمور على ما يرام، وتم نسخ الكتاب من الكمبيوتر الى القرص، ولكن القلق لم يفارقني، ويبدو ان سما ارادت ان تشغلني بأمر آخر حينما رأتني وقد سيطر القلق على وجودي وفكري كله، فقالتْ:

. احمد، ما هو شعورك وقد أكملتَ تأليف الكتاب؟ وبعد كل هذا الجهد الذي بذلته ما هي النتيجة التي توصلتَ لها؟

قلتُ لها:

. لقد ثبت لي بالبرهان العلمي والرياضي الذي لا يعرف الشك والتأويل انه يستحيل ان يكون هذا القرآن من صناعة البشر، وانه مُحال حذف او تغيير آية او كلمة بل حرف واحد منه، لأنه بذلك التغيير سوف يختل النظام الإعجازي المتكامل الذي بُني القرآن عليه، وانه هو الكتاب الوحيد الذي تكفل الله بحفظه[1]، وانه رُسم وجُمع هكذا بأمر من الله تعالى دون أي اجتهاد او تدخل مخلوق فيه، وهذا واضح من الآية التي تقول: (لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ*إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ)[2].

---

[1] * سورة الحجر/ 9 : (إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ).

[2] *سورة القيامة/ 16-17

دمعتْ عين سما، وقالتْ:

. ليت أمنا حاضرة معنا هذه اللية لتشهد ثمرة المشروع الذي كانت قد بدأته.

وجاء الغد بعد ان أصبحت الساعات اليه أياما ما انقضت بسهولة، وما مضت الا بمشقة. سلّمتُ قرص الكتاب الى الجهة المسؤولة عن المسابقة، وذهبتُ فورا الى منزل مالك، وهناك كانت المفاجئة الكبرى!

لقد وجدتُ عائلته في اضطراب شديد، وبمجرد ان رآني والده الذي كان هناك أدخلني المنزل بسرعة وهو يلتفت يمينا ويسارا. اجتمعتْ كل العائلة

التي كانت حاضرة حولي، وكلما سألتُ عن مالك لم يجبني أحد حتى استقروا جميعا، حينها تحدث والده، وقال:

. نحن نعلم ان عائلة مريم زوجة مالك لم يخبروك بما حدث لسبب انت تعرفه..

قاطعته، وسألتُ منه:

. وما الذي حدث؟

. ان مالك لم يعد الى البيت منذ يومين، وقد اتصل بنا (أبو قاسم) وهدد بقتله خلال سبعة أيام إذا لم تتصل انت به.

ما ان اتم والد مالك كلامه حتى سمعتُ زوجة مالك تقول وقد امسكت بيدها ورقة صغيرة قدمتها لي:

. وهذا رقمه، اتصل به ارجوك، ارجوك..

ارتفع صوت بكائها، فأخذتُ الورقة منها وانا لا اعلم ماذا افعل بها. على كل حال قلتُ لها:

. انا حاضر للاتصال به الآن، وإذا كانت حياتي تنقذه وتعيده لكم فحياتي فداء له.

كان الموقف يتطلب مني التصرف بحكمة بالغة، لذا أطرقتُ قليلا للتفكير ثم رفعتُ رأسي وقمتُ وقلتُ لهم:

. حسنا، اتركوا الأمر لي..

قاطعتني زوجته وقالت وماذا ستفعل؟

اجبتها فورا:

. لا عليكِ، سوف يعود مالك لكم هذا اليوم!

نطقتُ بهذه العبارة ولا اعلم كيف ستتحقق!

على كل حال لم اخرج منهم الا بصعوبة بالغة، وذهبتُ الى.. لا اعلم الى اين اذهب، اين انت يا أماه لتنجيني مما أنا فيه، استغفر الله، تذكرتُ ما تفعله والدتي حين كل شدة وبلاء، انها لم تكن تنجينا من الأزمات من نفسها، نعم، انها كانت تترك كل شيء، تترك كل ما حولها وتتوجه الى

الله، الى من بيده الأمر والخلق، نعم، كانت تعرض حالها على من يعلم الحال والأحوال، ثم تقوم بكل ثقة واطمئنان بانه سوف يجيبها.

اذن علي ان أذهب وأتوجه الى الله، نعم الى الله...

في طريقي الى المسجد ناجيتُ ربي بقلب محترق صادق حتى وصلتُ الى مسجد المنطقة، انها محلتي واعرف جيدا اين مسجدها، لذا وصلتُ اليه بسهولة وحين دخولي اليه وجدتُ خادمه فيه والذي حينما رآني عرفني وتحرك نحوي وعانقني، نعم، ورأيتُ بريق دموعه التي حاول ان يخفيها، فقال:

. ولدي احمد، لقد كان لوالدك الفضل الكبير عليّ وعلى هذا المسجد. نحن نعلم ان والدك برئ وان كل ما حدث كان من فعل (أبو قاسم)!

استغربتُ من كلامه، وقلتُ له:

_ عجيب، اعدموا والدي وصادروا بيتنا واموالنا ولم ينطق احد منكم، فما الذي حدث الآن، ثم ما معنى كلامك هذا؟ لم افهم ما تقول، من اين علمتم ببرائة والدي؟

. من تصرفات (أبو قاسم) وافعاله بعد اعدام والدك، من بيعه بيتكم بسعر زهيد جدا. من هروبه

من المحلة بعد ان شاع فيها انه هو الذي قتل جاركم وليس والدك.

قاطعته وقلتُ له:

. ومتى شاع ذلك؟

. قبل أسبوع تقريبا.

علمتُ من كلامه ان ورقة (أبو قاسم) قد احترقت كما يقولون، اذن ما الذي يمنعه من ارتكاب جريمة أخرى بشأن مالك، يا الهي نجني مما انا فيه.

قررتُ الاتصال بـ (ابو قاسم) فاتصلتُ به، نعم، حاولتُ وبصعوبة بالغة التكلم معه بهدوء وبرود فقلتُ له:

. مالك لا ذنب له، انا الذي اشعتُ بين الناس أنك انت القاتل، وإذا لم تدع مالك يعود الى اهله هذه الليلة، فسوف أقدّم دليلي الذي يثبت انك قاتل والدتي أيضا.

اجابني ساخرا من كلامي:

. وما دليلك يا أحمق؟ إنك لا تستطيع تقديم أي دليل على اني قاتل جيرانكم او والدتك كما تزعم.

_ اسمع يا مجرم، لدي دليلين الأول يثبت جريمتك الأولى والثاني يثبت جريمتك الثانية، والأمر اتركه اليك.

كان علي ان أوصله الى اليقين بان لا سبيل له الا الخلاص مني قبل ان أقدم الدليل الى دائرة مكافحة الإجرام، لذا قلتُ له.

. يبدو أنك غير واثق من كلامي، اذن اسمع ما أقوله لك، الدليل الأول ان الذي اشترى البيت منك أخذتُ منه البصمة التي بصمتها انتَ على ورقة عقد البيع، وأستطيع غدا تقديم طلب مطابقتها مع البصمات التي وجدت على المقتول يوم الجريمة، واما دليلي على أنك قاتل والدتي فهو فيلم

يصور لحظة حادثة الدهس لوالدتي ويظهر فيه رقم سيارتك.

تيقن أبو قاسم ان الحل الأوحد هو الخلاص مني قبل تقديم الأدلة الى أي شخص آخر، لذا قال:

. حسنا، وما الضمان أنك لا تعطي هذه الأدلة بعد ان أطلق سراح مالك؟

. يبدو أنك مجرم محترف، ان عودة مالك الى اهله يهمني أكثر من حياتي نفسها، لذا اطلب منك ان تطلق سراحه مقابل تسليمك نفسي، حينها سوف يكون أمري بيدك، وان شئتَ نتفق معا على

السكوت مقابل مبلغ بسيط أستطيع العيش به، وانت أيضا تعود الى حياتك الطبيعية وكأن شيئا لم يكن.

. انا موافق، سوف اسلّمك مالك، واعطيك مبلغ تستطيع العيش به مع شراء منزل لك ولأختك.

كنتُ اعلم انه كاذب في كلامه، وانه يضمر لي كمينا يقتنصني به، ولكني مع ذلك قبلتُ منه، وطلبتُ منه تحديد الموعد والمكان.

لم يمهلني أكثر من ساعتين للحضور في المكان الذي حدده لي، وفي تلك الساعتين لم أتمكن فيها حتى من الاتصال بسما وتوديعها، ولكني تمكنت من الاتصال بالمحامي عبد الرحمن الذي

اعطيته سابقا فيلم حادث دهس والدتي، كما تمكنتُ من التحدث معه بضع دقائق أخرى.

طلب مني ملاقاته بأسرع وقت، فقلتُ له:

. الا تخبرني بما تريده مني عبر الهاتف، فقد قلتُ لك ان وقتي قليل ولم يمهلني أكثر من ساعتين.

. اسمع يا احمد، لا تغادر مكانك وسوف أوصل نفسي اليك، إذا اردتَ نجاة نفسك وصديقك فانتظرني.

لم استطع تخمين ما يريده مني ولماذا كل هذا الاهتمام بملاقاتي، وعلى كل حال اعطيته عنواني وجلستُ انتظره..

لم يستغرق عبد الرحمن في مجيئه أكثر من نصف ساعة، وحينما رأيته قمتُ اليه وسلمتُ عليه فرد السلام، والتفتَ يمينا ويسارا، ثم قال:

. انتَ لا تعلم بما فعلته خلال الفترة السابقة، اذ ان مالكا طلب مني ان لا اخبرك. لقد قدّمتُ ادلتك وكذلك أخذتُ بصمات (أبو قاسم) من ورقة عقد البيع وتم تدقيقها مع البصمات التي كانت على جسد جيرانك المقتول فكانت مطابقة لها، بعدها

تمكنتُ من الحصول على أمر القاء القبض عليه ومصادرة أمواله.

. وهل ثبت أيضا انه القاتل لوالدتي؟

. قدمتُ فيلم حادثة الدهس الى المحققين، فتحققوا منه، فكان واحدا من الأدلة المهمة التي جمعها المحققون وعن طريقها ثبت لهم ان (أبو قاسم) هو الذي دهس عمدا والدتك.

لم تكن هذه الاثباتات جديدة بالنسبة لي اذ كنتُ على يقين منها. قلتُ لعبد الرحمن:

. والآن ما هو المطلوب مني؟ وكيف سأتمكن من تخليص مالك من قبضته، اني قلق جدا عليه.

اخرج عبد الرحمن من جيبه قطعة الكترونية صغيرة جدا وقدمها لي، وقال:

. اسمع يا احمد، هذه قطعة مرسِلة للإشارات وتبين موقعك أينما ذهبتَ، عليك اخفائها تحت لباسك وتذهب في الموعد والمكان الذي حدده لك (أبو قاسم)، ثم تذهب معه أينما يقول لك. ان هذه أوامر مدير مكافحة الاجرام، وعلينا تنفيذها خطوة بخطوة.

لا أنسى تلك اللحظات وتلك الخطوات التي كنتُ اخطوها الى مصيري المجهول، لم أكن اعلم ماذا يدور في فكر (أبو قاسم)، وما هو الكمين الذي اعدّه لي، وهل سوف أرى مالكا معه ام لا؟

وصلتُ المكان في الوقت المحدد، والتفتُ يمينا ويسارا فلم أر أحدا. ظننتُ انه على مقربة مني يراقبني ليطمئن بعدم وجود أي شخص آخر معي، وقد كان كذلك..

وبعد انتظار لم يطل كثيرا جاء (أبو قاسم)، وأول سؤال سألته منه عن مالك اين هو؟ سخر مني، وقال:

. وهل ظننتَ اني أحمقا اترك مالك يذهب ليخبر عني، الآن انت ومالك في قبضتي، لذا فأنا في أمن وأمان..

. وماذا تريد أن تفعل بنا؟

اخرج سلاحا ووجهه نحوي، وقال:

. هذا الامر يخصني. انطلق امامي ولا تلتفت، وافعل كل ما أقوله لك والا فسوف أطفئ حياتك انت وصديقك في لحظة واحدة.

انطلقتُ وكنتُ اسير حيثما يأمرني حتى وصلنا الى سيارته التي كان قد اخفاها في أحد البساتين، فأمرني بالركوب فيها.

ولكيلا يشعر بخطتنا حاولتُ اظهار ممانعتي للركوب معه في سيارته، وكلما دفعني نحوها امتنعتُ من الركوب فيها حتى اضطر لرفع سلاحه نحوي، حينها قبلتُ وانطلقت السيارة بنا الى حيث

يشاء الله لنا حتى وصلنا الى منزل داخل بستان كبير فنزلنا فيه..

لا أثر لمالك هنا، اذن اين هو؟! سألتُ (أبو قاسم):

. اذن اين مالك؟ لقد وعدتني بـ ..

قاطعني، وقال مهددا لي:

. يا أحمق، فكر في نفسك، فكر كيف ستقضي ايامك القادمة في العالم الآخر، بالطبع ان كان هناك عالم آخر كما تزعمون!

قال هذا ودفعني، وأدخلني في غرفة صغيرة داخل سرداب المنزل ثم قفلها وذهب.

كان من المفروض وحسب الاتفاق مع المحامي عبد الرحمن ان يكون المنزل هو المحطة الأخيرة، لذا كنتُ انتظر ان يحدث امرا ما بين لحظة وأخرى حتى سمعتُ صوت اطلاقات من هنا وهناك.

اذن يبدو ان الأمور تسير على ما يرام وحسب الاتفاق، ولكن.. مضت ربع ساعة ولم يأتني أحد! مضت نصف ساعة أخرى فقلقتُ كثيرا وراحت الأفكار المخيفة تدور في فكري هنا وهناك، وصرختُ في اعلى صوتي: انا هنا، انا هنا.

سمعتُ صوتا خلف باب الغرفة، تُرى من هو؟ هل هو (أبو قاسم) عادُ مرة أخرى، ام هو عبد

الرحمن؟ لحظة لا انساها ابدا حين فُتح الباب وكل مخيلتي انه (أبو قاسم) ولكنه كان شخص آخر! نعم، كان الشخص الذي اتيتُ هنا مخاطرا بحياتي من أجله. اطلّ علي بابتسامته التي تعودتُها منه. عانقته وقلتُ له:

. مالك، ارجو ان تسامحني أَن كنتُ سببا لأذيتك وقلق عائلتك..

رفعت رأسي ونظرتُ اليه مرة أخرى كي اتيقن بأنه هو وليس غيره، وانني أعيش حقيقة وليس خيال. لم تكن رؤية مالك المفاجئة الوحيدة، بل رأيتُ أيضا (أبو قاسم) وقد كان يحيط به رجال من

الشرطة الذين امسكوا به، واحدا عن يمينه وآخر عن شماله..

نهاية الفصل السابع

الفصل الثامن:

هذا ما أردته

حينما يريد لنا ربنا أمرا لا يعترضه أحد ولا يعيقه شيء، فهو القادر على كل شيء.. عادت لنا أموالنا وبيتنا وسمعتنا في محلتنا.

لا أنسى لحظة دخولي مع سما الى بيتنا.. لحظة تبقى في الخواطر ولا تُمحى من الذكريات، لحظة ارتفع فيها صوت سما بالبكاء فأردتُ تهدئتها ولكني لم اتمالك نفسي أيضا، واجهشتُ بالبكاء معها حينما قالت لي:

. احمد، ليت امي كانت معنا فأضع يدي بيدها التي ملأها الدفأ والحنان، اين أبي الذي كان كلما يدخل البيت يقبّلني ويرسم البسمة على وجهي بمزاحه معي. ان صورتهما لم تفارقني في ديار

الغربة منذ رحلا، فكيف ستفارقني هنا، ولي معهما في كل زاوية خاطرة وذكرى.

دعوتُ كل أصدقائي الذين فارقوني وابتعدوا عني بعد التهمة الكاذبة على والدي، ودعوت المثقفين من اهل منطقتي التي نبذتني مع اختي ووالدتي، ودعوتُ جميع زملائي في الجامعة التي تركتها بسبب الفقر الذي أصابنا.. نعم دعوتُ هؤلاء جميعا للحضور في حفل اعلان الفائزين في مسابقة أفضل كتاب عن إعجاز القرآن.

لم يكن يهمني من الفائز في المسابقة بقدر ما كان يهمني الخطاب الذي هيئته لإلقائه على

جمهور الحفل بعد ان أخذتُ الأذن من المؤسسة والمسؤولين فيه.

تم اعلان اسم الفائز الأول في مكبرات الصوت التي انتشرت في قاعة الحفل، فسمعه الجميع: أحمد عبد السلام جابر !!

قمتُ من مقامي، وبخطوات هادئة ترجّلتُ الى المنصة وصعدتُ سلّمها لأقف فوقها وأستلم جائزتي في ظرف مغلق. أخبرني مسؤول المؤسسة والحفل بعد ان قبّلني وسلم لي الظرف بأن خطابي للجمهور سوف يكون بعد اكمال اعلان الفائزين في المرتبة الثانية والثالثة.

وقفتُ هناك ونظرتُ الى الحاضرين من النساء والرجال فكان العدد كبير جدا، ونظرتُ الى الصحفيين الذي ملئوا وغطوا كل زاوية من زوايا الحفل، ونظرتُ الى مكبرات الصوت العملاقة التي يصل صوتها الى كل من في داخل الحفل وخارجه.. اذن الوقت والمكان مناسب جدا لعرض رسالتي ونشرها في كل أرجاء الدنيا.

اول كلام قلته للجمهور حينما وقفتُ امام الميكرفون وبعد أداء التحية لهم:

. ان هذا الظرف المغلق أعيده وانا على المنصة الى مسؤول المؤسسة كي يوزعه على الفقراء، إذ

ان ربي قد أعطاني خلال بحثي في القرآن ما يفوقه بمئات المرات، كما أعطاني فرصة التحدث معكم.

اليوم احكي لكم قصة قصيرة في سطورها، ولكنها غنية في معانيها، مؤلمة في سرد احداثها.. نعم، انها قصة القرآن الذي كان عزيزا بين اهله، وله كلمة الفصل في حكمه، يحكم به الناس والفقهاء والعلماء، ولكنهم فيما بعد تركوا هذا النبع الصافي، وأصبح بين الناس مهجورا، وعند الفقهاء مقصيا، تنسخ حكمه الرواية الضعيفة، وتهيمن عليه الأحاديث الباطلة، حتى أصبح غريبا بينها وهو كلام الله!

احبائي الحاضرين:

. انا خلال أشهر من البحث المكثف عن اسرار ومعاجز هذا القرآن وجدتُ فيه كنوزا لا تُعادل بأثمان، وجدته ينطق بانه هو كتاب الله الأوحد الذي لم ولن يمسه تحريف ولا زيادة ولا نقصان، لا في جملة ولا في كلمة، بل ولا في حرف من حروفه، نعم، صاحب هذا الكتاب تعهد بحفظ كتابه وهو القادر المطلق على فعل ما قاله **(إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)**[1].

ان الكثير الكثير من الأحاديث والروايات التي وصلت الينا وامتلأت بها بطون الكتب لو عرضناها على القرآن لوجدناها تخالفه، والذي

---

[1] * سورة الحجر / 9

يدعو للاستغراب اننا، بل حتى علمائنا تمسكوا بتلك الروايات، وتركوا القرآن جانبا مع انها كانت تسيء الى رسولنا المصطفى صلوات الله وسلامه عليه، بل وتُسيء الى الدين وقيمه السامية، وهذه هي الطامة الكبرى والمصيبة العظمى.

كنتُ خلال كلامي الاحظ نظرات الحاضرين لي والى بعضهم البعض، وكانت الدهشة قد علت على وجوههم، وحين توقفي قليلا قام أحد الحاضرين الذي يبدو عليه انه رجل دين، فقال لي وقد بدت آثار العصبية على ملامح وجهه:

. ان لدينا كتب حديث معتبرة نأخذ منها ديننا وفقهنا، وكل ما ورد فيها من روايات كانت صحيحة ولا شبهة فيها.

حاولتُ تهدئة الموقف اذ توقعتُ ان العديد من الحاضرين يؤيدون رأيه، وقد ينتفضون وانا فوق منصة المسرح، لذا أجبته:

. ان الله تكفل بحفظ قرآنه ولم يتكفل بحفظ كتب الحديث من الروايات الموضوعة، وثانيا ان اغلب الروايات الواردة في كتب الحديث هي ليست نقلا بالحرف الواحد عن رسول الله صلوات الله عليه، بل هي نقل بالمعنى، يعني ان الراوي مهما كان ثقة فهو انما ينقل لنا المعنى الذي فهمه من رسول

الله، وقد يكون فهمه يطابق المعنى الذي أراده او لا يطابق، اما القرآن ..

احبائي، أما القرآن فكلنا يعلم انه كلام الله بالحرف الواحد، وهو منزّه وبعيد كل البعد عن هذه الآفة التي تصيب الروايات.

قام رجل الدين مرة أخرى، وقال:

. اذن ماذا نفعل بكتب الحديث التي لدينا؟

. اني ادعوكَ وادعو جميع علماء الدين والفقهاء الى إعادة النظر في كتب الحديث وتنقيتها وذلك بعرض كل رواية فيها على القرآن الكريم، فان خالفته فاضربوا بها عرض الحائط حتى وان وردت

في الكتب المعتبرة لديكم، اذ لا يمكن لرسول الله ان يقول شيئا يخالف القرآن.

كان هذا كل ما تمنيته ورجوته من حضوري في هذا الحفل، أَن ازرع بذرة العودة الى القرآن وتنقية الموروث الذي تمسك به الناس والعلماء دون القرآن، ولعل هذه البذرة تجد من يسقيها وينمّيها في جيلنا او في الأجيال القادمة...


النهاية